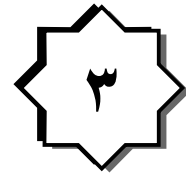


الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ

سلسلة كتب إسلامية



مِنْ الْأَخْلَاقِ الْقَلْبِيَّةِ

الداعية الإسلامية

ياسين رشدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نموذج رقم ١٧
AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحرار
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :
بناء على الطلب الخاص بلخص ومراجعة كتاب : **مير الدجلا لربيت البيرسيه**
..... تأليف : **السيد / يا. مسيم رندري**
نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا يتطعن
من طبعه على تفكيركم الخاصة .
مع التأكيد على ضرورة العناية الدائمة بكلية الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية الشريفة .
والله الموفق ،،،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

٩١٨/٩

تحريراً ١١٨٢/ ٢/ ٩
الموافق ١٩٩١/ ٩/ ١٨

سجل



حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة
لجمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

الفهرس

ص	البیان	ص	البیان
٧٢	نور الوجه	٣	تقديم
٧٨	الدعاء والرجاء	٧	القناعة بالكفاية
٨٧	الحكم على الآخرين	١٠	نبأ عظيم
٩٤	ذكر الله	١٥	الصلاة المقبولة
١٠٣	الظن بالله	٢٣	اللوم عليك
١٠٧	من خاف سلم	٣١	المظهر الخادع
١١١	بذل الفضل	٣٤	الفقر والغنى
١١٥	الاعتصام بالله	٤٠	فضل التوحيد
١١٨	يَا لَهَا مِنْ حَسَنَةٍ	٤٤	الحليم لَا يَعْجَل
١٢٠	أحباب الله	٤٨	شعار الصالحين
١٢٤	كلمة التوحيد	٥٤	صِلَّة الرَّحْم
١٣٠	إياك والصالحين	٥٨	الصبر على البلاء
١٣٥	ثبات الأقدام	٦٤	العفو لِمَنْ عَفَا
		٦٦	أهل المعروف

رقم الإيداع ٧٧٩٥ ١٩٩١
الترقيم الدولي 4 - 0736 - 04 - 977 I.S.B.N.

تقديم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ..
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ .. ثُمَّ جَعَلَهُ نُطْفَةً بَيْنَ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ..
خَلَقَ مِنْهُ زَوْجَهُ وَجَعَلَ مِنْهُمَا الْأَبْنََاءَ وَالْأَقَارِبَ ..
تَلَطَّفَ بِهِ فَنَوَّعَ لَهُ الْمَطَاعِمَ وَالْمَشَارِبَ ..
وَحَمَلَهُ فِي الْبَرْ عَلَى الدَّوَابِّ ، وَفِي الْبَحْرِ عَلَى الْقَوَارِبِ ..
نَحْمَدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَمْدَ الطَّامِعِ فِي الْمَزِيدِ وَالطَّالِبِ ..
وَنَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ مِنْ شَرِّ الْعَوَاقِبِ ..
وَنَدْعُوهُ دُعَاءَ الْمُسْتَغْفِرِ الْوَجِلِ التَّائِبِ ..
أَنْ يَحْفَظَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ حَاضِرٍ أَوْ غَائِبِ ..



وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ ..
شَهَادَةً مُتَيَقِّنِينَ بِأَنَّ الْوَحْدَانِيَّةَ لِلَّهِ أَمْرٌ لَا زِمَ لَا زِبَ ..
أَرَأَيْتَ الْأَرْضَ فِي دَوْرَانِهَا : كَيْفَ تَمَسَّكَتْ بِكُلِّ ثَابِتٍ وَسَائِبِ !! ..
أَرَأَيْتَ الشَّمْسُ فِي أَفْلَاكِهَا : كَيْفَ تَعَلَّقَتْ بِنَجْمٍ ثَاقِبِ !! ..
أَرَأَيْتَ الرِّيحَ كَيْفَ سُخِّرَتْ : فَمِنْهَا الْكَرِيمُ وَمِنْهَا الْمُعَاقِبِ !! ..
أَرَأَيْتَ الْأَرْزَاقَ كَيْفَ دُبِّرَتْ ، وَهَلْ فِي الطُّيُورِ زَارِعٌ أَوْ كَاسِبٌ ؟ !! ..
أَرَأَيْتَ الْأَنْعَامَ كَيْفَ ذُلِّلَتْ فَجَادَتْ بِأَلْبَانِهَا لِكُلِّ حَالِبٍ !! ..

أَرَأَيْتَ النَّحْلَ كَيْفَ رَشَفَ رَحِيقَ الزُّهُورِ فَأَخْرَجَ الشِّفَاءَ مَشَارِبَ !! ..
أَرَأَيْتَ النَّمْلَ كَيْفَ خَزَنَ طَعَامَهُ ، وَهَلْ لِلنَّمْلِ كَاتِبٌ أَوْ حَاسِبٌ ؟ !! ..
أَرَأَيْتَ الْفَرَّخَ كَيْفَ نَقَرَ بَيْضَهُ وَخَرَجَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ !! ..
أَرَأَيْتَ الْعَنْكَبُوتَ كَيْفَ نَسَجَتْ وَكَمْ فِي الْخُيُوطِ مَصَائِدُ وَمَصَائِبَ !! ..
أَرَأَيْتَ الْوَلِيدَ كَيْفَ التَّقَمَ ثَدْيَ الْأُمِّ دُونَ عِلْمٍ سَابِقٍ أَوْ تَجَارِبَ !! ..
أَرَأَيْتَ الْإِنْسَانَ كَيْفَ ضَحِكَ ، أَرَأَيْتَ كَيْفَ تَثَاءَبَ !! ..
أَرَأَيْتَ نَفْسَكَ نَائِمًا وَقَدْ ذَهَبَتْ بِكَ الْأَحْلَامُ مَذَاهِبَ !! ..
إِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَاخْشَعْ ؛ فَلَا نَجَاةَ لِهَارِبٍ ..



وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُ الْمَلِكِ الْوَاهِبِ ..
مَا مِنْ عَاقِلٍ إِلَّا وَعَلِمَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِهِ حَقٌّ وَوَاجِبٌ ..
سَلِ الْعُدُولَ وَسَلْ : هَلْ عَابَهُ فِي الْحَقِّ عَائِبٌ ؟ ..
سَلِ الشُّهَدَاءَ عَنْهُ : هَلْ كَانَتْ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَآرِبٌ ؟ !! ..
سَلِ صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ فِي قَلْبِ بَدْرِ عَنِ الصَّادِقِ ، وَمَنِ الْكَاذِبِ ؟ !! ..
سَلِ السُّيُوفَ سَلِ الرِّمَاحَ : هَلْ حَمَلَهَا مِثْلُهُ مُحَارِبٌ ؟ !! ..
سَلِ الْغَارَ عَنِ الْحِمَامَةِ حَيْثُ بَاضَتْ فَأَغْشَتْ أَعْيُنًا كَانَتْ تُرَاقِبُ !! ..
سَلِ سُرَاقَةَ عَنْ قَوَائِمِ حِصَانِهِ : كَيْفَ سَاحَتْ فِي الصَّخْرِ حَتَّى الْمَنَاكِبِ !! ..
سَلِ أُمَّ مَعْبُدٍ : كَيْفَ سَقَاهَا اللَّبَنَ وَالشَّاةُ مُجْهَدَةً وَعَازِبَ !! ..
سَلِ الشَّمْسَ سَلِ الْقَمَرَ عَنْ نُورِهِ إِذِ الْكُلُّ غَارِبَ !! ..

سَلِ النُّجُومَ : مَتَى صَلَّتْ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَسَارِبِ ؟ ! ..
 سَلِ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى عَنْ قُرْآنِهِ وَالرُّسُلَ تَسْمَعُ وَالْمَلَائِكَةَ مَوَاقِبَ !! ..
 سَلِ الزَّمَانَ : مَتَى تَوَقَّفَ ، وَسَلِّ الْمَكَانَ : كَيْفَ تَقَارَبَ ؟ ! ..
 سَلِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ : هَلْ وَطَّئَهَا قَبْلَهُ رَاجِلٌ أَوْ رَاكِبٌ ؟ ! ..
 سَلِ أَبْوَابَهَا : كَيْفَ تَفْتَحُ ، وَمَنْ اسْتَقْبَلَهُ عَلَى كُلِّ جَانِبٍ ؟ ! ..
 سَلِ الْمَلَائِكَةَ : أَيْنَ اصْطَفَتْ لِتَحِيَّتِهِ كَمَا تَصْطَفُ الْكِتَابُ ؟ ! ..
 سَلِ الرُّوحَ الْأَمِينَ : لِمَازَا تَوَقَّفَ عِنْدَ الْحِجَابِ وَمَنْ الْحَاجِبُ ؟ ! ..
 سَلِ الْعُشَّاقَ عَنْ حُبِّهِمْ ، وَالنَّاسُ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبَ !! ..
 سَلِ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى عَنْ كَأْسِ الْمَحَبَّةِ : مَنْ السَّاقِي وَمَنْ الشَّارِبُ ؟ ! ..
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى أَهْلَ الْفَضَائِلِ وَالْمَوَاهِبِ ..
 وَعَلَى الصَّحْبِ وَالْآلِ وَمَنْ تَبَعَ عَدَدَ مَا فِي الْكُونِ مِنْ عَجَائِبَ وَغَرَائِبِ ..
 أما بعد ،،

فإن « الأحاديث القدسيّة » تعني الأحاديث المُطَهَّرَة المنزّهة ، نسبة إلى صدورها
 من ((الله)) - سبحانه وتعالى - وإخبار النبي (ﷺ) بها بواسطة « جبريل » - عليه
 السلام - أو إلهاماً أو مناماً ، ثم يعبر عنها الرسول (ﷺ) بلفظ من عنده ، مضيفاً إياها
 إلى ((الله)) - سبحانه وتعالى - في حين أن « الأحاديث النبوية » لم يضيفها إلى
 ((الله)) سبحانه وتعالى ..

والفارق بين « الحديث القدسي » و« القرآن الكريم » : أن نزول القرآن لا يكون
 إلا بواسطة « جبريل » - عليه السلام - ويكون مُقيّداً باللفظ المنزّل من « اللوح

المحفوظ .. وألفاظ القرآن معجزة ، أما « الأحاديث القدسيّة » فغير معجزة على رغم أن النبي (ﷺ) قد أُوتى جوامع الكلم ، وهو أفصح العرب على الإطلاق ، لذا فقد تحدّى ((الله)) تعالى الكفار بـ « القرآن الكريم » ولم يتحدّهم بـ « الحديث » ..

بالإضافة إلى أن « القرآن الكريم » يُتعبّد به فى الصلاة ، ويحرم لمسه وقراءته لغير المطهرين ، ومن جحد به فهو كافر ، كما أنه محفوظ بحفظ ((الله)) تعالى من التحريف والتغيير ، وكل ذلك لا ينطبق على « الحديث القدسيّ » .. أيضا « القرآن الكريم » هو التشريع : فيه الأمر والنهى والخبر والقصص وهو مقسّم إلى سُور وآيات بوحي من ((الله)) دون تَصَرُّف من النبي (ﷺ) ..

كما أن السُّور والآيات مرتبة ترتيبا توقيفياً : أى أوقف « جبريل » - عليه السلام - النبي (ﷺ) على هذا الترتيب ..

أما « الحديث القدسيّ » فلا أمر فيه ولا نهى ، ولا يؤخذ منه تشريع أو أحكام ، وإنما هو مواعظ وحكم ، وفيه توجيه وتعليم وتزكية ، وله نور يستفيد به العبد إذا فهمه واستطاع أن يعمل به ..

يتوج كل هذا أن تلاوة « القرآن » يُثاب عليها القارئ سواء أفهم المعنى أم لم يفهم ، كل حرف بعشر حسنات .. ولا شك أن تلاوته فى الصلاة أعظم ثواباً ، ويضاعف ((الله)) لمن يشاء ..

نسأل ((الله)) تبارك وتعالى : أن ينفَعنا بهذه الأحاديث .. وأن يرزُقنا الجنة ونعيمها .. وأن يُنعمَ عَلَيْنَا بالنَّظَرِ إلى وجهه الكريم .. وأن يَجْمَعَنَا مع النَّبِيِّينَ والصَّادِقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ ..

القناعة بالكفاية

١ (ابن آدم ، عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ ، وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ .. لَا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ ، وَلَا مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ .. إِذَا أَصْبَحْتَ مُعَافًى فِي جَسَدِكَ ، آمِنًا فِي سَرَبِكَ ، عِنْدَكَ قُوَّةُ يَوْمِكَ فَعَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ) ..
[رَوَاهُ ابْنُ عَدَى وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عُمرَ (رضى الله عنهما)]

شرح الحديث :

الحديث يُعرِّف ابن آدم طبعه ، وما جُبِلَ عليه : [عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ] لأن ((الله)) سبحانه وتعالى أعطى كل إنسان ما يكفيه ، فقد قدَّر سبحانه الأقوات من الأزل قبل خلق السموات والأرض إذ يقول : (قُلْ أَتَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ۖ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٠﴾) ^(١) ..

والإنسان دومًا يطلب المزيد ، وهو لا يعرف ما يفعل به المزيد ، فحين يختار ((الله)) الغنى أو الفقر لإنسان ما ، فإنه يختار له ما يصلحه ، ولكن الإنسان لا يعلم ..

^(١) سورة فصلت الآيات من ٩ إلى ١١ .

الحديث يوضح أن هناك ثلاثة أمور هامة ، أو هي نَعَم أنعم ((الله)) بها عليه ، لو عَرَفَهَا وأدركها لهانت عليه الدنيا فلم يعبأ بها ، وهذه الأمور الثلاثة هي :

١- إذا أصبح الإنسان مُعافى من كل مرض وألم .

٢- الأمن [آمناً في سِرِّكَ] سِرِّكَ : بالكسر أى نفسك ، وسِرِّكَ :

بافتح هي مذهبك ومسلكك ، والأمن أمر لا يشعر به كل الناس ، أو هم لا يستشعرون قيمته ، لأنهم لم يعيشوا الخوف ، ولكن لو تخيلنا أننا قلة في أمة غير مسلمة - كما كان المسلمون الأوائل - لأدركنا حقيقة الخوف وقيمة الأمن : (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ

الظُّنُونَا ﴿١﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٢﴾) (١) فأى

خوف هذا الذى يبلغ المرء هذا المبلغ؟! .. ومن هذا المنطلق فللأمن والأمان قيمة كبرى لا يدركها المرء إلا إذا استشعر الخوف : (وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) (٢) ..

٣- أن يملك الإنسان قوت يومه ، فلا يبيت ليلته جوعان ، فالغد أمره بيد

((الله)) ، وليس للإنسان من أمره شيء ، لأنه قد يأتى الغد وهذا

الإنسان ليس من أهل الدنيا ، فالموت قريب ليس ببعيد ، فإذا ملك المرء

(١) سورة الأحزاب الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة النور آية ٥٥ .

قوت يومه فحسبه : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)^(١) ..

فإذا استشعر المرء هذه النعم الثلاث ، وجب عليه أن يقول - حامداً لله - :

[عَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ] الْعَفَاءُ : هو الفناء والحو ..

وهناك حديث قدسي آخر مشابه لهذا الحديث .. يقول تعالى :

(يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى وَأَسَدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسَدَّ فَقْرَكَ)^(٢) ..

وهناك من الآيات في « القرآن الكريم » ما يؤكد معنى هذه الأحاديث كقوله

تعالى يخاطب حبيبه المصطفى (ﷺ) : (لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكَ)^(٣) ومعناها أن

((الله)) يقول لنبيه : لا أسألك السعي لإيجاد الرزق فأنا كفيل بذلك .. وكقوله

تعالى : (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا

تَعْمَلُونَ)^(٤) الأمر واحد « الأمور » ، وليس مفرد « الأوامر » ، والرزق من

« الأمور » .. وقوله تعالى : (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) يوضح أن ما على العبد إلا

أن يعبد ((الله)) مخلصاً ، ثم يتوكل عليه في أمور الدنيا ..

اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا .. وَحَسِّنْ أَخْلَاقَنَا .. وَطَيِّبْ كَسْبَنَا ..

وَقِنْنَا بِمَا رَزَقْتَنَا .. وَلَا تُذْهِبْ قُلُوبَنَا إِلَى شَيْءٍ صَرَفْتَهُ عَنَّا ..

^(٣) سورة طه آية ١٣٢ .

^(٢) رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين .

^(١) سورة هود آية ٦ .

^(٤) سورة هود آية ١٢٣ .

نبأ عظيم

٢ (إِنِّي وَالْجِنَّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ : أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي ،
وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي) ..

[رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ مُعَاذٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، وَالِدَيْلَمِيٍّ وَابْنِ عَسَاكِرٍ عَنْ أَبِي
الدَّرْدَاءِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الحديث :

كلمة (نبأ) من حيث اللغة : هي الخبر ذو الفائدة العظيمة يحصل به علم أو غلبة
ظن ، فلا يُعْبَرُ عن الخبر المحتمل الصدق والكذب بكلمة (نبأ) ولكن يُعْبَرُ بها عن
كل خبر هام عظيم كقوله تعالى : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾) ^(١) ..
فالله - سبحانه وتعالى - حين يقول : [فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ] فلا بد أن الأمر خطير !!..
يتلخص في نقطتين هامتين وهما :

- أن ((الله)) تبارك وتعالى هو الخالق ، ومع ذلك يُعْبَدُ غَيْرُهُ .
 - أن ((الله)) تبارك وتعالى هو الرازق ، ومع ذلك يُشْكَرُ غَيْرُهُ .
- والعبادة تعني : (التذلل والخضوع والطاعة والتوحيد والدعاء) .. وفي الحديث :
- [يُعْبَدُ غَيْرِي] يقصد بها كل أنواع العبادة : فمنها السجود للأصنام ، وطاعة
غير ((الله)) .. فمثلاً قال ((الله)) تبارك وتعالى : (يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ

^(١) سورة النبأ الآيتان ١ ، ٢ .

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ^(١) هذا أمر من ((الله)) لم يطعه بعض نساء العصر الحالى ، بل أطعن ملوك الأزياء ، وخرجن كاسيات عاريات ، ضالات مضلات ، مائلات مميلات ..

وقد أحلَّ ((الله)) لعباده التجارة ، وحَرَّمَ الرِّبَا ، ولكنَّا نجد النظام الاقتصادى يقوم على الرِّبَا ، على الرغم من أنه قد تبين أن المشروعات القائمة على الرِّبَا لا تفلح بل تفشل فشلا ذريعا يحار فى تفسيره علماء الاقتصاد .. هذا من حيث (العبادة) بمعنى : (الطاعة) ..

أما عن (العبادة) بمعنى : (التوحيد) فقد أشرك بعض الناس بـ ((الله)) ، وادَّعوا له الولد - سبحانه وتعالى عما يصفون - وقالت اليهود : (عُزَيْر ابن الله) .. وقالت النصارى : (المسيح ابن الله) .. وقال مشركو العرب : (الملائكة بنات الله) ، فتعالى ((الله)) عما يقولون ويصفون علوا كبيرا ..

و(العبادة) بمعنى : (الدعاء) غفل عنها كثيرون .. فلننظر هل يجار كل الخلائق بالدعاء إلى ((الله)) ؟! .. أبداً !! فنجد كثيرا من الناس لا يدعون الله : (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٢﴾)^(٢) حتى الدعاء يغفلون عنه ، ظنا منهم أن السلطة والجاه تُصَرِّفُ أمورهم فلا يدعون ربهم ..

أما قوله : [أَرْزُقْ وَيُشْكِرْ غَيْرِي] : لو أعمل الناس فيه فكرهم - كما فعل العارفون - لوجدوا أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين : (لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكَ)^(٣)

(١) سورة الأحزاب آية ٥٩ . (٢) سورة العلق الآيتان ٦ ، ٧ . (٣) سورة طه آية ١٣٢ .

ولننظر إلى أنواع الرزق المختلفة نجد أن ((الله)) هو خالقها : فبدايةً خَلَقَ ((الله)) الماء ، ثم جعله أساس كل شيء حتى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾) أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ ﴿٦٤﴾ ^(١) فالماء والأرض مما خلقه الله ، وكذا البهائم وما تنتجه من لحوم وألبان .. نجد أن الله هو خالق كل ذلك ومُسَخِّرُه لنا .. والأسماك وكل منتجات البحار هو خالقها سبحانه وتعالى .. والذهب الذى هو أساس التعامل المادى فى هذه الدنيا من خلق ((الله)) .. والبتروى نكتشفه ولا نخلقه ، إنما خالقه وموجده هو ((الله)) ، وبالقىاس على ذلك : كل ما فى الكون من موجودات خلقها ((الله)) ، فالله هو الرازق الأواحد .. وقد رزقنا العقل ، وهو نعمة يغفل عنها الكثيرون ، لذلك نجد القول المأثور : (عَقْلُ الْمَرْءِ مَحْسُوبٌ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ) فلننظر هل شَكَرْنَا ((الله)) كل هذه النعم ؟! فالشكر ليس فقط بقول : (الحمد لله) وإنما الشكر يُكَلَّلُ بالعمل ، فقد قال ((الله)) تعالى : (أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا) ^(٢) ولو نظرنا لكلمة (الشُّكْرُ) من حيث اللغة : نجد أن قولهم : (شَكَرَتِ النَّاقَةُ) أى امتلأ ضرعها باللبن امتلاء عظيمًا حتى أنه يقطر لبنًا من غير حلب ، وكذا قولهم : (شَكَرَتِ الْبُيْرُ) أى فاض منها الماء على الأرض .. فمادة الكلمة تعنى الامتلاء ثم الإفاضة ، فإذا أعطاك ربنا نعمة أصبت منها حاجتك ، وما زاد أخرجته لتنفع به غيرك .. فهناك من الناس مَنْ إذا أعطاه الله ، وزاده نعمة ازداد بُخْلًا بدعوى أنه قد عانى فى جمع هذا المال ، فهل سأل نفسه وتفكر : كم من أناس تعبوا وعانوا ولم يصلوا إلى ما وصل إليه ؟! لقد

^(١) سورة الواقعة الآيتان ٦٣ ، ٦٤ .

^(٢) سورة سبأ آية ١٣ .

غفل عن ذلك ، لأن الناس تُرزق وتَغفل عن الرازق ، وتحجبهم النعمة عن المنعم ، فلو نظرنا إلى كل نعمة وأمعنا النظر لوجدنا خلفها يد الفضل من ((الله)) تبارك وتعالى ، (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) ^(١) ..

وقد يتساءل سائل : لِمَ يَدْعُ ((الله)) هؤلاء الذين يعبدون غيره ، والذين يشكرون سواه يعيشون في الدنيا في دائرة حِلْمِهِ وَيُرْزَقُونَ مِنْ فَضْلِهِ ؟!.. والإجابة : أن هناك من الخلق مَنْ يُرْحَمُ بِهِمُ الجميع ، وَيُرْزَقُ بِهِمُ الجميع ، ودليل ذلك الحديث الشريف : (مَهْلًا عَنِ اللَّهِ مَهْلًا .. فَإِنَّهُ لَوْلَا شَبَابُ خُشْعٍ ، وَبَهَائِمُ رُتْعٍ ، وَشُيُوخُ رُكْعٍ ، وَأَطْفَالُ رُضْعٍ ، لَصُبَّ عَلَيْكُمْ الْعَذَابُ صَبًّا) ^(٢) .. ولذا يقول رسول الله (ﷺ) : (إِنَّ اللَّهَ لَيُصْلِحُ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ وَلَدَهُ ، وَوَلَدَ وَلَدِهِ ، وَأَهْلَ دُؤَيْرَتِهِ ، وَأَهْلَ الدُّوَيْرَاتِ حَوْلَهُ ، فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّهِ مَا دَامَ بَيْنَهُمْ) ^(٣) .. فبعض الناس وجودهم في الأرض رحمة ، فقد تُرتكب الفواحش جهاراً وعباناً في مكان وَيُظَنُّ أَنَّ أَهْلَهُ لَا يَسْتَحِقُونَ قَطْرَةَ الْمَطَرِ ، ولوجود رجل يدعو ربه لَيْلًا يَرْحَمُ ((الله)) الحي كله .. وهناك من يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .. وهناك من يقول : نَامَتِ الْعُيُونُ ، وَغَارَتِ النُّجُومُ ، وَأَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، يَا رَبَّ رَحْمَتِكَ .. لأجل هذه الكلمات يرحم ((الله)) النائمين على المعاصي ، فكم لله من عباد يخفى حالهم على الناس ، ولو أقسموا على ((الله)) لأبرهم !! فالرسول (ﷺ) يقول : (كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ ،

^(١) سورة الحديد آية ٢١ . ^(٢) رواه البيهقي كتاب صلاة الاستسقاء . ^(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ، مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ (^(١)) ..

نَسْأَلُ ((اللَّهُ)) تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ ..

وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِنَا ..

وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ..

وَأَنْ يُقَدِّرَ لَنَا الْخَيْرَ ، وَأَنْ يُجْرِيَ الْخَيْرَ عَلَى أَيْدِينَا ..

وَيَخْتِمَ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ ..

وَأَنْ يَغْفِرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ،

الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ ..



(^١) رواه الترمذى كتاب المناقب .. و« أشعث الشعر » : ملبد مغبر الشعر غير ممشط .. و« أغبر » المراد على

رأسه التراب .. و« ذى طمرين » : صاحب ثوبين باليين .. و« لأبره » : لأجابه وجعله باراً فى قسمه ..

الصلاة المقبولة

﴿ ٣ ﴾ (إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي .. وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي .. وَلَمْ يَيْتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي .. وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي .. وَرَحِمَ الْمُسْكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَالْأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ .. ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ .. أَكَلُوهُ بَعِزَّتِي ، وَأَسْتَحْفِظُهُ بِمَلَائِكَتِي ، أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُورًا ، وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا .. وَمِثْلُهُ فِي خَلْقِي كَمِثْلِ الْفَرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ) ..

[رَوَاهُ الْبَزَّازُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)]

شرح الحديث :

يظهر من الحديث أمور كثيرة ، أولها : أهمية الصلاة ، وهي الركن الثاني في الإسلام ، ويمكن القول بأنها الركن العملي الأول ، لأن ما قبلها (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) عقيدة ، وما بعدها الركن العملي ، لأن التوحيد إقرار باللسان ، واعتقاد بالجنان ، فالركن العملي الأول هو الصلاة ..

[أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ] : في الحديث شرط هام هو : أن المصلي يجب ألا يتناول

بصلاته على أحد من خلق الله ، بمعنى : أنه يصلي متواضعا لله ، ويضع أشرف ما في الإنسان - وهو وجهه - على أحقر ما في الوجود - وهو التراب - تذلا لله .. فالهدف من الصلاة هو إظهار الذلة والخضوع والتذلل لله .. والشرف كل الشرف

في أن تخضع ، وتذلَّ لله سبحانه وتعالى .. ومن تواضع لله رفعه ..

وهناك أناس يصلون فينظرون إلى غيرهم على أنهم أدنى منهم درجة .. ومع أن الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، ولكن لا أحد يعلم ما تخفيه الأيام وما طويت عليه الصُّحُف : (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْكُمْ) ^(١) .. وإذا كنت من قبل لا تصلى ، أو لا تحافظ على الصلاة في أوقاتها ، فهذا الله .. إذا فهو قادر على أن يهدى غيرك .. وإذا كنت تصلى اليوم وتواظب على الصلاة ، فأنت لا تدري ما يصنع الله بك غداً .. فعلى المصلى أن يدعو ربه : أن يديم عليه نعمة الصلاة ، ولا يتناول بصلاته على أحد ..

وأحياناً يتباهى البعض بما عندهم من علم ، فيتناولون على من لا علم له ، والله يقول لسيد الخلق (ﷺ) : (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ) ^(٢) فالعلم من عند الله ، والصلاة من فضل الله وتوفيقه ، فلا يتقبل من العبد صلاته إلا إذا كان متواضعاً بها لعظمة الله تبارك وتعالى ، غير مُتَكَبِّرٍ بها على أحد من خلقه ..

[وَلَمْ يَتَّ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي] : الإصرار معناه الاستمرار على المعصية .. فلو أذنب المرء فندم واستغفر ، غفر له ولو تكرر ذلك منه .. فالنبي (ﷺ) فيما يحكي عَنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - يقول : (أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ

^(١) سورة النساء آية ٩٤ .

^(٢) سورة النساء آية ١١٣ .

تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ..
ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيُّ رَبٍّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : عَبْدِي أَذْنَبَ
ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيُّ رَبٍّ
اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ
الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. اْعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ (^١) .. وهكذا يذنب
العبد ويستغفر فيغفر له ولكن بشرط : أن لا يُصِرَّ على المعصية ، والإصرار معناه : أن
يرتكب المرء المعصية فلا يندم عليها ، ويبيت ليله وهو ناس لذنبه ، أو يبيت وقد نوى
أن يعيد الذنب نفسه في غده .. ومثال لذلك :

المرأة التي لا تلتزم بالزى الإسلامى ، فهذا ذنب ، فهل عاتبت نفسها وعزمت
ألا تعود له ، أم باتت وقد أعدت ما تلبسه غداً من النوع نفسه الذى ارتدته في
يومها؟! .. والإصرار على الصغيرة كبيرة .. أما عدم الإصرار على المعصية فمثاله :
الشاب الذى تلفت نظره الضالات المضلات في الشوارع - وهُنَّ فِتْنَةٌ ، لقول
رسول الله (ﷺ) : (مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ) (^٢) -
فينظر إليهن ثم يتذكر قول الله تعالى في الحديث القدسى : (النَّظَرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ
مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ) (^٣)
فيستغفر ربه ، ويعزم على ألا ينظر مرة أخرى ، ثم فعل مثل ما فعل ، ولو حدث
ذلك مائة مرة : في كل مرة ينظر ، فيندم ، ويستغفر ، وينوى مخلصاً ألا يعود لذلك ،

(^١) رواه مسلم ، كتاب التوبة . (^٢) رواه البخارى ، كتاب النكاح . (^٣) أخرجه الطبرانى .

يُغْفَرُ لَهُ - إن شاء الله - مادام قد عزم على عدم العودة : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ
نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ^(١) ..

وإذا رأينا شابًا آخر يخرج بقصد التردد للفتيات ، ويتعمد أماكن بعينها ، فهو
مُصِرٌّ على المعصية ..

كلا الشاين يرتكب الذنب نفسه والمعصية ذاتها ، ولكن الأول يندم ويستغفر ،
أما الآخر فلا يندم ولا يستغفر .. لذا يقول الرسول (ﷺ) : (مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ
تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا
قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً ، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ) ^(٢) لأن المرء إذا فرغ من
صلاة الظهر - مثلا - وارتكب المعاصي والصغائر ، وجاء للوضوء لصلاة العصر ،
تذكر ذنبه ، فتساقط الصغائر والذنوب مع قطرات الماء ، فإذا وقف للصلاة وقف
نظيفاً طاهراً .. فإذا نسي شيئاً لم يتذكره في وضوئه ، تذكره في صلاته ، فالصلاة مرآة
للعبد ، يرى ويتذكر فيها أفعاله ، فإن كانت خاطئة شعر بالخل والندم ، فإذا ركع أو
قام أو سجد ، تساقطت عنه ذنوبه ، فيخرج من صلاته كمن لا ذنب له ..

أما من يصلي ولا يذكر ذنبه فيستغفر منه ، فصلاته ليست كفارة له ، لأن الله
سبحانه وتعالى يقول : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ^(٣) ..

[وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي] : هذا لا يعني أن يقضى نهاره يسبح ويذكر الله

فقط .. بل يكون في معاشه وتقلبه طوال النهار ذاكراً لله ، شاعراً بنعمه عليه :

^(١) سورة النساء آية ١١٠ . ^(٢) رواه مسلم ، كتاب الطهارة . ^(٣) سورة العنكبوت آية ٤٥ .

فالطعام مثلاً والقدرة على مضغه وهضمه نعمة من نعم الله .. فإذا أكل وشبع فحمد الله فذلك ذكر .. وإذا رأى جميلاً في الكون ذكر الله فقال : (سبحان الله) .. وإذا رأى عيلاً حمد ربه على أن عافاه مما ابتلاه به .. وكذلك إذا رأى عاصياً حمد الله على نعمة الطاعة فكان بذلك ذاكرًا لله بقلبه وفكره ..

[وَرَحِمَ الْمَسْكِينِ ، وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَالْأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ] : بعد

الصلاة وذكر الله تأتي الرحمة ، لأن الصلاة تصنع بالمرء شيئين : أولهما : أنها تظهر على وجهه .. والكثير من العارفين بالله إذا نظر أحدهم إلى وجه أحد الناس عرف إن كان يصلي أم لا .. وثانيهما : أنها تورث القلب رقة ورحمة ، وهذا الوصف ظاهر في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ^ط تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا)^(١) اقترن لفظ الرحمة بلفظ الركوع والسجود .. وتجاور ألفاظ الرحمة والركوع والسجود - في الآية الكريمة - يشعرا بما تورثه الصلاة .. فالصلاة لها أثران : ظاهري وباطني ، فالظاهري هو النور في الوجه ، والباطني هو الرحمة والرقة .. ويقول (ﷺ) : (إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ)^(٢) .. (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)^(٣) .. وكان (ﷺ) بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً كما وصفه القرآن ..

وتجد الرحمة في الأنبياء أعظم وأشمل منها في الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل .. وكلما اقترب العبد من الله تبارك وتعالى تخلق بالأخلاق الفاضلة ، واشتدت الرحمة

^(١) سورة الفتح آية ٢٩ . ^(٢) رواه البخاري ، كتاب التوحيد . ^(٣) رواه الترمذي ، كتاب البر والصلة .

فى قلبه وعمت ، فى رحم أهله ، ثم جيرانه ، ثم عشيرته ، ثم الناس جميعاً .. لذا تجد هؤلاء الرحماء تشع رحمتهم فى الدنيا ، كما أن لهم رحمة فى الآخرة أيضاً بالشفاعة لأهلهم ، وأحبابهم ، وجيرانهم ، فهم الشفعاء يوم القيامة ..

[وَرَحِمَ الْمَسْكِينِ] : و« المسكينُ » : من المسكنة ، وهى من السكون ، أى أسكن الفقر حركته .. [وابن السَّيْلِ] : وهو المسافر ، وسُمى : (ابن السَّيْلِ) لأنه ملازم للطريق ، كالطفل الملازم لأبيه ، وابن السبيل مطلوب له الرحمة لأنه قد تفرغ نقوده وهو فى سفره فيحتاج إلى العون .. [والأرْمَلَة] : وهى مَنْ ماتَ عنها زوجها ، وقد تكون فقيرة أو غنية ، فالحديث لم يحدد صنفاً من الأراامل ، ولكن ذَكَرَ الأرْمَلَة فقط ، وهى قد تحتاج إلى المساعدة أو المعاونة فى الحصول على معاش زوجها مثلاً .. فليتنق المتزوج ربه لأنه لا يضمن أن يأتى الصباح فتصبح زوجته أرملة ، فعليه أن يراعى الله ويراقبه : (وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (١) ..

[وَرَحِمَ الْمُصَابَ] « الْمُصَاب » : هو مَنْ أُصِيبَ فى بدنه ، أو ماله ، أو ولده ، أو أحد من أهله فيحتاج إلى المواساة أو المساندة .. ولا أحد يدرى ما فى الغد ، فلو دامت لغيرك ما آلت إليك ..

[ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ] : أى إنه فى الدنيا يصل نوره إلى السموات السبع ، حتى ترى الملائكة نوره على الأرض كما ترى أنت نور الشمس ، وليس

(١) سورة النساء آية ٩ .

هذا في حياته فقط وإنما في قبره وحين يُبعث يوم القيامة أيضاً : (يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتُ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)^(١) ..

[أَكَلُوهُ بِعِزَّتِي] : « الكلاءة » : العناية الشديدة ، والرعاية الفائقة ..

[وَأَسْتَحْفِظُهُ بِمَلَائِكَتِي] : يعين الله له حرساً من الملائكة يحفظونه ، والله سبحانه

وتعالى يقول : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)^(٢) ..

وكان رسول الله (ﷺ) يُحرس بأصحابه في أول البعثة حتى نزلت الآية : (يَتَأَيَّهَا

الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^ط وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ^ج وَاللَّهُ

يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)^(٣) فصرف الحرس .. فإذا مشى الصحابة خلفه يحرسونه قال

لهم : (خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ)^(٤) .. والملائكة : أكرم حرس ، لا يعصون الله ما

أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ..

[أَجْعَلْ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُوراً] النور هنا شيئان : ظاهر وباطن ، أما الظاهر : فهو

الرؤية في الظلام ، كما كان يحدث مع بعض الصحابة ، منهم : أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ،

وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ (رضي الله عنهما) إذ كان النور ينبعث من عصا كُلِّ منهما إذا مشى

في الظلام .. وأما الباطن : فمهما كثرت الأباطيل ، وغمضت الأمور ، واستغلقت

على الأفهام فهم يرونها على حقيقتها .. والله تعالى يقول : (أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا

فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

(١) سورة الحديد آية ١٢ .

(٢) سورة الرعد آية ١١ .

(٣) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٤) رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين .

مِنَهَا^(١) وسواء أكانت الظلمة حقيقية أم كانت استغلاقاً للأمور فرؤيتهم لها واضحة ،
والنور نور البصيرة ..

[وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا] : « الجهالة » هي خروج المرء عن وعيه ، أو اتزانه
وتعقله : من غضب ، أو تهور .. وهؤلاء مهما بلغت بهم الجهالة ، أو جهل
عليهم غيرهم يمنحهم الله من حلمه وعلمه ..

[وَمَثَلُهُ فِي خَلْقِي كَمَثَلِ الْفَرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ] : الْخَلْقُ هُنَا : هم الصالحون
من الناس ، و« الفردوس » : أعلى الْجَنَانِ ، ومنها تتفجر الأنهار في الجنات
الأخرى ، وسقفها عرش الرحمن .. لا يتسنى ثمرها ، ولا يتغير حالها ..

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُتَوَاضِعِينَ بِصَلَاتِنَا لِعَظَمَتِكَ ..

واجْعَلْنَا مِنَ الرَّحَمَاءِ ..

واجْعَلْ لَنَا فِي الظُّلْمَةِ نُورًا .. وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا ..

وَإِكْلَانًا بِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا تُضَامُ ..

وَاحْفَظْنَا بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ ..



(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

اللوم عليك

٤ (يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا .. يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ .. يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ .. يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ .. يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا غَيْرَ الشَّرِّكَ ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ .. يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي .. يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا .. يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .. يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجَنَّتْكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .. يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا : فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ

فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) ..

[رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَأَبُو عَوَانَةَ ، وَابْنُ حِبَّانَ ، وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الحديث :

حين حَرَّمَ الله تبارك وتعالى الظلم على نفسه ، جعل ذلك تفضُّلاً منه وإحساناً ، لأن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء : (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)^(١) .. والظلم هنا هو أن يُحسن المرء فلا يجد ثواب إحسانه ، ويسىء المرء فيعاقب بأكثر مما يستحق على إساءته ، أو تُضاف على المسىء سيئات لم يرتكبها ، أو تضاف إلى المحسن سيئات لم يعملها .. ذلك هو الظلم المقصود .. وإن كان الله تبارك وتعالى قادراً على كل شيء .. وهو الفعال لما يريد .. ومن حَكَمَ فيما مَلَكَ فما ظلم .. إلا أنه - تفضلاً وإحساناً - أراد أن يثيب المحسن ، ويجازى المسىء ، فلا يجد الإنسان في الآخرة إلا عمله فيُجزى به .. فإذا كان الله تبارك وتعالى - الذى لا يُسأل عما يفعل - قد حرم الظلم على نفسه ، فمن باب أولى أن يكون محرماً على عباده لذلك نهاهم عن التظالم .. وهو أول نهى فى الحديث ، والظلم أنواع ودرجات .. ومهما ارتكبتَ من شرور ومعاصٍ وسيئات فى حق نفسك ، فتوبتك واستغفارك يمحوان سيئاتك .. أما المظالم : كأن تكون قد ضربت هذا ، أو شتمت هذا ، أو أكلت مال هذا ، فلا يُصلَحُ ذلك الاستغفار وحده ، ولكن لابد من رد المظالم .. ولذلك نجد أن القرآن الكريم يحدثنا عن التوبة بآيات مختلفة ، وألفاظ مختلفة مثل :

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

(إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) ^(١) فالمعصية متعلقة بالعقيدة ، فمطلوب منه :
 التوبة ، ثم الإيمان ، وتصحيح العقيدة .. وهناك : (إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
 عَمَلًا صَالِحًا) ^(٢) فالأمر يتعلق بالسيئات .. والإساءات التي فعلها العبد تخص ذاته
 ونفسه فيبادر بالحسنات ليمحوها .. وهناك الإخفاء للحقائق : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
 وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا) ^(٣) فالمطلوب منهم التبيان - لما سبق وأخفوه - كشرط من
 شروط التوبة .. وهناك : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا
 نَكَالًا مِّنْ أَلَلَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ^(٤) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ) ^(٥) فالمطلوب
 الإصلاح بأن يرد المسروق .. أما أن يستغفر فقط فذاك لا ينفع ..

ومن هنا نجد أن من أخطر الذنوب ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، وحديث :
 (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ^(٥) يوضح أن الظلم درجات : فظلم
 المسئول أخطر من ظلم غير المسئول ، وظلم القاضى أخطر من ظلم الإنسان العادى ،
 وهكذا بحسب وضع الإنسان فى الدنيا ، تتفاوت درجات الظلم ..
 ثم يحدثنا الله تبارك وتعالى عن أمر غاية فى الأهمية :

[يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ] : إذا فالأصل فى الإنسان أن يكون
 ضالاً .. لم يستثن الله أحداً من بنى آدم إلى أن تقوم الساعة فلا يمكن للإنسان أن
 يهتدى بنفسه إلى الله ، ولكن لابد من هدى الله .. و« الضلال » : هو عدم معرفة

^(٣) سورة البقرة آية ١٦٠ .

^(٢) سورة الفرقان آية ٧٠ .

^(١) سورة مريم آية ٦٠ .

^(٤) سورة المائدة الآيتان ٣٨ ، ٣٩ . ^(٥) رواه البخارى ، كتاب النكاح .

الحق .. وكلمة « ضَلَّ » أى غاب ، مثل قولهم : « ضل اللبن في الماء » أى اختلط به فلم يُعرف اللبن من الماء .. و« ضل الرجل طريقه » أى تاه .. إذا فالأصل في الإنسان أن يكون ضالاً ، لأنه : لا يرى الله ، ولا الملائكة ، ولا الآخرة .. فهو لا يرى إلا المحسوسات فقط ، والله تبارك وتعالى وراء المحسوسات .. وأنواع الضلال متعددة : فهناك الضالُّ الذي لم تبلغه دعوة الرسل ، وهناك من يبحث فيصل إلى بعض الحق بنفسه ، وهناك من تأتبه الرسل فيستمع فيهتدى فذاك قد أنعم الله عليه وهداه ، ومنهم من يستمع إلى الرسل ويعرف الحق ولا يتبعهم ، فينتقل من دائرة الضلال إلى دائرة الغضب فيصبح مغضوباً عليه ، ولذا نجد في الفاتحة : (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) ^(١) .. معنى ذلك أن هناك فريقين : الضال الذي لم يعرف الطريق إلى الله ، أو لم تبلغه دعوة الرسل .. ومن بلغته دعوة الرسل فلم يؤمن ولم يصدق .. وبما أن الأصل في الإنسان الضلال - ما لم يهده الله - فما الذى يجب عليه؟! .. [فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ] : إذا فالأمر في غاية البساطة ، ما علينا إلا الطلب بصدق وعلى الله الإجابة .. ولكن - للأسف الشديد - الضُّلَّال لا يسألون الله الهدى - ولو سألوه لهداهم - مع أن طلب الهداية هو أهم ما في الوجود إذ بها تصلح أمور الإنسان في الدنيا والآخرة ..

ويتنقل الحديث بعد ذلك إلى ما قد يشغل عن طلب الهداية : [يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ] : الكلام هنا لكل الناس

(١) سورة الفاتحة آية ٧ .

سواء في ذلك الغنى والفقر : فعلى الغنى أن يعلم أن ما عنده من رزق هو من فضل الله .. وعلى الفقير أن يعلم أن هذا الغنى كان جائعاً ، ولم يطعمه إلا الله ، فلا يسأله ، وإنما يسأل الله سبحانه .. والطعام في الحديث قد لا يدل على الأكل فقط ، وإنما يعنى كل ما فيه منفعة للإنسان .. والنافع هو الله .. والمرء محتاج إلى كل ما ينفع ، فعليه أن يلجأ إلى من يملك النفع ..

[يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكَسُونِي أَكْسُكُمْ] : في ذلك معنيان : معنى ظاهر وهو ستر العورة والتجمل وما إلى ذلك .. ومعنى باطن وهو دفع المضار ، لأن المرء بلباس الحرب يدفع عن نفسه ضرب السهام والرماح ، وباللباس الثقيل يستدفع وي دفع عن نفسه البرد ، وباللباس الخفيف يدفع عن نفسه الحر ..

ويتعرض الحديث بعد ذلك لطبيعة الإنسان : [يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا غَيْرَ الشَّرِّكَ ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ] : وتقديم الليل على النهار لفظة تستوجب التأمل ، فالأصل الظلمة ، أما النهار فهو عارض .. لأن الشمس تشرق فتضيء فتذهب الظلام ، ولذا نجد ذكر الليل يأتي دائماً - في القرآن - قبل ذكر النهار : (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)^(١) .. (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)^(٢) .. الليل فيه السكون .. وفيه الستر .. ويُستحب فيه التوجه إلى الله ، حيث يختفى السلطان والجاه .. وفيه قيام العارفين .. وفيه المستغفرون بالأسحار .. مما يجعل الخطايا بالليل

(١) سورة النور آية ٤٤ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٢ .

من أسوأ الأمور وأخطرها على الإنسان .. وعلى الرغم من أننا نخطئ بالليل والنهار فإن الله تبارك وتعالى يبين لنا سعة رحمته بقوله : [وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا] ويطلب منا أن نسأله المغفرة بقوله : [فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ] مما يعطى الأمل الكبير لكل الخاطئين .. فلا يأس من رحمة الله مهما عظمت الذنوب ، وكثرت الخطايا .. ولذا فمن أعظم الكبائر أن يستعظم المرء ذنبه على الله ، ويقول في نفسه أو لشخص ما : (لقد ارتكبت من الذنوب ما لا يمكن أن يغفره الله) هذه المقولة وحدها تعادل الشرك ، لأن المرء إذا استعظم ذنبه على الله ، فكأنما اعتقد أن المعاصي تضر الله أو تنقص من ملكه شيئاً ، وهو سبحانه لا تضره المعاصي ولا تنفعه الطاعات ، لذا فالله يقول : [إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي] : فمهما فعل المرء من معاص فلن يضر الله شيئاً ، فالله لا تضره المعاصي ..

[وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي] : وبالتالي لا تنفعه الطاعات ، فلو اجتمع الناس جميعاً على طاعة الله ما نفعه ذلك شيئاً ، ولو اجتمعوا على معصية الله ما ضره ذلك شيئاً .. إذا فالله لا ينهانا عن شيء يضره ، أو يأمرنا بشيء يحتاجه ، إنما يأمر وينهى لما فيه صلاحنا وخيرنا .. ثم يضرب الله في الحديث مثلاً لتوكيد ما سبق : [يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجَنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا] ذكر جميع المُكَلَّفِينَ بالعبادة وَلَمَّحَ إِلَى أَنَّ التَّقْوَى محلها القلب ، فلو أن العباد مِنْ إِنْسٍ وَجَنٍّ ، منذ خلقهم وحتى تقوم الساعة ، كانوا على أَتَقَى قلب رجل واحد ، ألا وهو قلب محمد (ﷺ) سيد ولد آدم ما زاد ذلك في ملك الله شيئاً ، لأن الله كان ولم يكن شيء معه .. فهو

الغنى والكل فقراء إليه .. وهو سبحانه المستغنى بذاته عما سواه ..

[يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا] : نستشعر هنا عزة ((الله)) جل جلاله إذ لا تنفعه الطاعات ، ولا تضره المعاصي .. سبحانه هو الكبير المتعال ..

[يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ] : معنى ذلك اجتماع الكل على اختلاف ألسنتهم ولهجاتهم وطلباتهم في مكان واحد ، وفي آن واحد .. فسبحان من لا تختلط عليه الأصوات ، ولا تختلف عليه اللغات ، ولا تنضب خزائنه ، ولا ينقصها العطاء .. فلو أعطى كل سائل ما سأل ما نقص ذلك مما عنده شيئاً إلا كما ينقص البحر إذا غُمست فيه إبرة ثم أُخرجت منه .. وذلك مثل ضرب للناس الذين لا يدركون إلا المحسوسات .. فعلى الإنسان أن يسأل الله في كل شيء ، ولا ييخل على نفسه بالدعاء ..

[يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا] : إذا فهم أعمال العباد .. [فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ] : نعم .. لأن الله هو الذى هدى ، وهو الذى وفق للطاعة ، وأعان عليها .. [وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ] : نعم .. لأنه كان بيده أن يطلب ويقول : يا رب ، يا رب .. فقد نبه الحديث إلى أن أمور الدنيا والآخرة بيد الله ، وأن على الإنسان أن يطلب ، وعلى الله

الإجابة .. فَمَنْ سَأَلَ أُجِيبَ لِمَا سَأَلَ - فليُنظر الإنسان ماذا يطلب وممن يطلب -
فمن وجد الخير فقد سألَه من الله ، ومن وجد غير ذلك فقد غفل عن سؤال الله
فحق له أن يلوم نفسه ..

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ .. عَاجِلَهُ وَآجِلَهُ ..
مَا عَلَّمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ .. وَمَا أَنْتَ بِهِ أَغْلَمُ ..
وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ .. عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ..
مَا عَلَّمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ .. وَمَا أَنْتَ بِهِ أَغْلَمُ ..



المظهر الخادع

٥ (عِبَادُ لِي ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الضَّأْنِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ ، وَالسِّنْتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، يَخْتَلُونَ النَّاسَ بِدِينِهِمْ .. أَبِي يَغْتَرُونَ ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرُونَ ؟! .. فِي أَقْسَمْتُ لِأَلْبَسَنَّهُمْ فِتْنَةً تَذَرُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ) ..

[رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)]

وحديث قدسي آخر بالمعنى نفسه :

٦ (لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ .. فِي حَلَفْتُ : لِأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانَ .. فِي يَغْتَرُونَ ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرُونَ ؟!) ..

[رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)]

شرح الأحاديث :

الحديث يحدث عن أناس ظاهرهم يخالف باطنهم .. [يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الضَّأْنِ] : « مُسُوكَ » : جمع مَسَكٍ ، وهو جلد الخروف .. [وَقُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ] : « القلوب » : الأفئدة ، وهي محل الإيمان ، ومحل الكفر والنفاق ، ومحل النية .. وسُمي الفؤاد قلبًا لتقلبه .. وقلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء .. ولا يثبت القلب إلا أن يشتهه الله .. ولذا كان النبي (ﷺ) يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ :

(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) ^(١) .. و« الصَّبْرُ » : نبات غاية في المرارة .. فقلوب هؤلاء أشد مرارة من الصبر ، لما انطوت عليه من الكذب والنفاق والرياء والحسد والحقد .. [وَأَلَسْتَهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ] : فهم حينما يتحدثون تخرج الألفاظ مثل سلاسل الذهب ، وكلامهم منسق وجميل ، وقد قال الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾) ^(٢) ..

[يَخْتَلُونَ النَّاسَ بِدِينِهِمْ] : « يَخْتَلُ » : يخدع أو يراوغ .. والمراد أنهم يُظهرون للناس الصلاح والتقوى ومظاهر التدين فيخدعون بمظهرهم ، وبمعسول كلامهم ..

[أَبِي يَغْتُرُونَ] : تهديد هؤلاء الناس الذين غرتهم أنفسهم ، وأعماهم طمعهم في الدنيا ، والصراع عليها عن أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. [أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرُونَ] : إذا كانوا لا يتنبهون إلى أن الله تبارك وتعالى يعلم غيب السموات والأرض ، فهم مغرورون .. وإذا كانوا مُقَرِّين بعلمه سبحانه وتعالى بكل شيء ومع ذلك يخدعون عباده ، فهم مجترئون .. [فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] : يحلف الله بذاته ، [لَأَلْبَسَنَّهُمْ فِتْنَةً] « اللبس » : الخلط .. يسلط الله عليهم الفتنة فتحيط بهم ، وتشابك ، فتختلط الأمور عليهم .. [تَذَرُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانًا] أى تترك من

^(٢) سورة البقرة الآيتان ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

^(١) رواه الترمذى ، كتاب القدر .

كَمُلْ عقله ، واكتمل علمه ، مُتَحَيِّرًا لا يدرى ماذا يفعل ؟! وكيف يواجه ما أَلَمَّ به ؟! .. فكيف بغير الحليم ؟!!

هذا الحديث هام جدًا ، يجب التنبه لما جاء فيه ، لنعلم أن الإنسان ليس بمظهره ، وإنما بِخُلُقِهِ وعمله وسلوكه .. لذا قال بعض الحكماء : (اعرفوا الرجال بالحق ، ولا تعرفوا الحق بالرجال) ..

ويوضح ذلك ما رُوي من أن رجلا ذهب إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقال له : يا أمير المؤمنين ، اقض لي بكذا ، فقال : ائني برجل يشهد لك .. فجاءه برجل ، فسأله عمر : هل تعرفه ؟ قال : نعم ، أعرفه يا أمير المؤمنين .. قال عُمر : إذا فقد صاحبتَه في السفر . قال لا يا أمير المؤمنين ، لم أصحابه في سفر . قال : إذا فقد تعاملت معه بالدرهم والدينار . قال : لا يا أمير المؤمنين ، لم أتعامل معه بدرهم ولا دينار . قال : إذا فدارك إلى جوار داره ، وبابك إلى جوار بابه ترى الداخل عنده والخارج من عنده . قال : لا يا أمير المؤمنين بل أسكن بعيدًا عنه . قال : إذا فلعلك رأيته في المسجد يتمتم بالقرآن يميل رأسه يَمْنَةً تارة ، وَيَسْرَةً تارة . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، أراه دائما في المسجد يتلو القرآن . فقال عمر (رضي الله عنه) : اذهب أيها الرجل ، فإنك لا تعرفه . ثم قال لصاحب القضية : اذهب فأتني برجل يعرفك .

نسألُ اللهَ تبارك وتعالى أَنْ يَجْعَلَ بَوَاطِنَنَا خَيْرًا مِنْ ظَوَاهِرِنَا ..



الفقر والغنى

٧ (أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ : يَا مُوسَى ، إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَوْ سَأَلَنِي الْجَنَّةَ بِحَذَائِيرِهَا لَأَعْطَيْتُهُ ، وَلَوْ سَأَلَنِي غِلَافَ سَوْطٍ لَمْ أُعْطِهِ .. لَيْسَ ذَلِكَ عَنْ هَوَانٍ لَهُ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَذْخِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ كَرَامَتِي ، وَأَحْمِيهِ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي الرَّاعِي غَنَمَهُ مِنْ مَرَاعِي السُّوءِ .. يَا مُوسَى ، مَا أَلْجَأَتْ الْفُقَرَاءَ إِلَى الْأَغْنِيَاءِ أَنْ خَزَائِنِي ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْ رَحِمْتِي لَمْ تَسْغُهُمْ ، وَلَكِنْ فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَسْغُهُمْ ، أَرَدْتُ أَنْ أَبْلُوَ الْأَغْنِيَاءَ : كَيْفَ مُسَارَعَتُهُمْ فِيمَا فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ .. يَا مُوسَى ، إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَتَمَمْتُ عَلَيْهِمْ نِعْمَتِي ، وَأَضَعْتُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِلْوَحْدَةِ عَشْرُ أَمْثَالِهَا .. يَا مُوسَى ، كُنْ لِلْفُقَرَاءِ كَنْزًا ، وَلِلضَّعِيفِ حِصْنًا ، وَلِلْمُسْتَجِيرِ غِيَاً ، أَكُنْ لَكَ فِي الشَّدَّةِ صَاحِبًا ، وَفِي الْوَحْدَةِ أُنَيْسًا ، أَكَلُوكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ) ..

[رَوَاهُ ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الحديث :

في الحديث أمور كثيرة منها :

أن العطاء في الدنيا بحكمة ، وأن الغنى ليس دليلاً على الرضا ، وأن الفقر ليس

دليلاً على السَّخَطِ ، وأن في العباد من هو في رعاية الله و كَنَفِهِ ، وقد لا يدري العبد أنه كذلك : فهو يرى نفسه محروماً ، يُزَوَّى عنه الخير الدنيويّ - حسبما يعتقد - لأنه كلما سأل أمراً من أمور الدنيا أو شيئاً من متاعها لم يُعْطَ ، ولم يُجَبْ دُعاؤه ، مع أنه لو سأل الجنة بحذافيرها لأعطاه الله ما سأل .. و « الحذافير » جمع بمعنى : الجوانب ، ومفرده : حَذْفَار ، وحُذْفُور .. و « الغلاف » معناه الغطاء .. و « السوط » معناه الكرباج المضفور من جلد ، أو ليف ، أو نحو ذلك .. أى لو طلب شيئاً حقيراً حتى لو كان غلاف سوط لا يعطيه الله .. في حين لو طلب الجنة بجميع جوانبها وبكل ما فيها لأخذها ، ويعلل الله ذلك فيقول : [لَيْسَ ذَلِكَ عَنْ هَوَانٍ لَهُ عَلَى] : أى إن عدم الإجابة ليس سببه حقارة العبد أو انعدام قدره عند الله .. [وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَدْخِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ كَرَامَتِي] وهو ما يُعَبِّرُ عنه بما نسميه : (رَصِيداً مُدْخِراً) .. فإذا جاء في الآخرة وجد كل ما طلبه في الدنيا مُدْخِراً له هناك ويُقال له آتئذ : ماذا تأخذ في مقابلها؟؟ فيعطيه الله في الآخرة ما لا يخطر له على بال ..

تُرى لماذا يريد الله أن يَدْخِرَ له في الآخرة من كرامته؟! .. لماذا يدخر له هذه الدعوات والثواب العظيم والخير الوفير في الآخرة؟! .. لماذا لا يُعْطِيه ولو جزءاً منها في الدنيا؟! .. ذلك لأنه يحميه .. كما قال : [وَأَحْمِيهِ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي الرَّاعِي غَنَمَهُ مِنْ مَرَاعِي السُّوءِ] فلو أن راعياً خرج بغنمه يرعى ، وفوجئ بأرض قد زُرِعَتْ نباتاً ساماً أو نباتاً ضاراً ، فإنه لابد مانع غنمه - لأنها لا تفهم ، وستجرى تجاه النبات الأخضر - فيزجرها ، ويغلظ عليها ، ويشتد ، ويقسو ، رحمة بها ، وحفاظاً عليها ، لأنها لو رعت لماتت .. وكذلك العبد الذي يطلب متاع الدنيا ،

لو أجابه الله لهلك ، لأنه قد يُسَىء استخدام ما مُنح من نِعَم ، كما أنها قد تطغيه ..
ويقول ربنا في حديث قدسى عن المال : (إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ ، وَلَوْ كَانَ لَابْنِ آدَمَ وَادٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ
لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ
عَلَى مَنْ تَابَ) ^(١) فالمال قد يُطغى ، والجاه والسلطان قد يُغرى باستغلال النفوذ ،
وبالتالى قد يحمى الله عبده الصالح فى الدنيا فلا يعطيه منها شيئاً ، حتى لا يستغله فى
معصية الله أو فى الظلم والطغيان .. وكذلك حتى لا يُسأل عنه يوم القيامة .. يقول
رسول الله ﷺ : (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ :
عَنْ عُمُرِهِ : فِيمَا أَفْنَاهُ .. وَعَنْ شَبَابِهِ : فِيمَا أَبْلَاهُ .. وَعَنْ مَالِهِ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ،
وَفِيمَا أَنْفَقَهُ .. وَعَنْ عَمَلِهِ : مَاذَا عَمِلَ فِيهِ) ^(٢) ..

الله يجيب عن السؤال الذى يُحير الكثيرين : لماذا ألجأ الفقراء إلى الأغنياء؟!..
[مَا أَلْجَأَتْ الْفُقَرَاءَ إِلَى الْأَغْنِيَاءِ أَنَّ خَزَائِنِي ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ رَحْمَتِي لَمْ
تَسْعُهُمْ] : هل لأن خزائنه قد ضاقت عليهم؟!.. أو أن رحمته - التى وسعت كل
شئ - لم تسعهم؟! حاشا لله : [وَلَكِنْ فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا
يَسْعُهُمْ] إذا فكل فقير فى أمة الإسلام له من المال فى ذمة الأغنياء ما يجعله لا يشعر
بالحاجة أو الفاقة .. وبهذا امتحن الله الأغنياء : [أَرَدْتُ أَنْ أَبْلُوَ الْأَغْنِيَاءَ : كَيْفَ
مُسَارَعَتُهُمْ فِيمَا فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ] والابتلاء فى المسارعة وليس فى

^(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

^(١) رواه أحمد ، مسند الأنصار .

إخراج الحق ، فهذه قضية مقطوع فيها .. وربنا يقول : (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)^(١) حق وليس فضلاً .. والفرق كبير بين الحق والفضل .. فالحق واجب ، أما الفضل فهو شيء يتفضل به المرء ولا يجب عليه .. إذا فالاختبار ، ليس في أن يعطى الحق لصاحبه فقط ، ولكن في مسارعته في إعطاء هذا الحق .. [يَا مُوسَى ، إِنَّ فَعَلُوا ذَلِكَ أَتَمَمْتُ عَلَيْهِمْ نِعْمَتِي] : إتمام النعمة هو الرضا في الدنيا والآخرة .. وألا يسأل المرء عنها ، لأنه لو سئل عنها لذهبت لذتها .. [وَأَضَعْتُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِلْوَحْدَةِ عَشْرُ أَمْثَالِهَا] : أى إن الحسنة بعشر أمثالها .. وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال : (مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ)^(٢) .. فما من زكاة تخرج من المال إلا ويُرزق صاحبه قدرها عشر مرات .. ثم يأتي التوجيه الرباني لموسى : [يَا مُوسَى ، كُنْ لِلْفُقَرَاءِ كَنْزًا] معناها : أن تعطى الفقير أكثر مما يتوقع .. ومعناها : أن ترده مجبور الخاطر وسعيداً ، فقد نال ما طلب وزيادة .. [وَلِلضَّعِيفِ حَصْنًا] : معناها : الحماية الكاملة ، بحيث لا يصل إلى هذا الضعيف ظلم أو قهر .. [وَلِلْمُسْتَجِيرِ غَيْثًا] : معناها : إغاثة الملهوف كما يغيث الله الناس بالمطر ..

[أَكُنْ لَكَ فِي الشَّدَّةِ صَاحِبًا ، وَفِي الْوَحْدَةِ أُنَيْسًا ، أَكَلُوكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ] : يوضح الله ويعدد النعم المقابلة لمن يكون للفقير كنزاً وللضعيف حصناً ، وللمستجير غيثاً .. [أَكُنْ لَكَ فِي الشَّدَّةِ صَاحِبًا] : « الصاحب » : هو المصاحب والملازم ، فلو وقع المرء في شدة لوجد الله معه في شدته بلطفه ورعايته .. [وَفِي

^(٢) رواه الترمذى ، كتاب الزهد .

^(١) سورة الذاريات آية ١٩ .

الْوَحْدَةِ أَنْيَسًا] : ما أجمل هذا الحب والعطاء !! إنه شيء يفوق الوصف .. فقد يحدث أن يجد المرء نفسه وحيداً فيشعر بالملل والوحشة ، وهذا هو المعتاد .. ولكن هؤلاء الذين يطيعون ما أمرهم به الله - في هذا الحديث - لا يشعرون بالوحدة أبداً ، بل يشعرون بأن الله معهم ، وذكره يؤنسهم .. ثم عمم الخير فقال : [أَكَلُّوكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ] تخيل إنساناً يحفظه الله في ليله ونهاره .. أى نعيم هذا ؟!

وبعد ..

فلو نظرنا إلى الأمة الإسلامية لوجدنا بعض أجزائها في فقر مدقع : فهناك مسلمون لا يجدون ما يقيم أودهم فيموتون جوعاً .. بل هناك من يبيع أولاده من أجل المال ، لأن أغنياء الأمة الإسلامية لا يخرجون زكاة أموالهم ، ولو أخرجوها ما بقى فقير واحد .. لأن الله قد وضع في أموال الأغنياء ما يسع كل فقير .. وهذا ركن واحد فقط من أركان الإسلام ، وفريضة واحدة لو أدناها كما يجب لتغير حالنا .. فكل أزماتنا الحالية أساسها اقتصادي ، وعليه .. إذا اكتفت دولة غنية وجب على الحاكم المسلم أن ينقل زكاة المال من بلده إلى البلاد الأخرى الفقيرة .. ولننظر إلى الحديث النبوي : (حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ) ^(١) .. إذا فمن خاف على ماله من السرقة أو الضياع أو النقصان فعليه بالزكاة ، فهي حصنه ، فمن أخرج الزكاة لا يمكن أن يصيبه الفقر ، أو ينقص ماله ، أو تُصاب تجارتُه بالخسارة ، ومن يخرج زكاة زراعته لا يمكن أن يصيبها ما يصيب الزراعات من آفات .. والذي

^(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

يمرض فعليه أن يخرج المزيد من ماله حتى يشفيه الله ..

وختاماً للموضوع نروى حديثاً لرسول الله (ﷺ) وجهه لبلال (رضي الله عنه) : (يا بلالُ ، ألقِ اللهَ فقيراً ، ولا تلقه غنياً .. قال : وكيف لي بذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا رُزقتَ فلا تخبأُ ، وإذا سُئلتَ فلا تمنع .. قال : وكيف لي بذلك يا رسول الله ؟ قال : هو ذاك وإلا فالتَّار) ^(١) ..

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الرِّضَا بِمَا قَسَمْتَ لَنَا ..
وَوَفِّقْنَا لِأَدَاءِ الْحَقِّ فِيمَا أُعْطِينَا ..
وَاصْرِفْ عَنَّا شَحَّ نُفُوسِنَا ..



^(١) رواه الحاكم في المستدرک .

فضل التوحيد

٨ (أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى : لَوْلَا مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَسَلَّطْتُ جَهَنَّمَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا .. يَا مُوسَى ، لَوْلَا مَنْ يَعْبُدُنِي مَا أَمْهَلْتُ لِمَنْ يَعْصِينِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .. يَا مُوسَى ، إِنَّهُ مَنْ آمَنَ بِي فَهُوَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى .. يَا مُوسَى ، إِنَّ كَلِمَةً مِنَ الْعَاقِ تَرْنُ جَمِيعَ رِمَالِ الْأَرْضِ .. قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ ، مَنْ الْعَاقُ ؟! .. قَالَ : إِذَا قَالَ لِوَالِدَيْهِ : لَا لَيْتَكَ) .. [رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

يتضح من الحديث فضل المؤمنين وفضل الطائعين : [لَوْلَا مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَسَلَّطْتُ جَهَنَّمَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا] : قد علمنا أن جهنم أوقدت ألف عام حتى احْمَرَّتْ ، ثم أوقدت ألف عام حتى ابْيَضَّتْ ، ثم أوقدت ألف عام حتى اسْوَدَّتْ ، فهي سوداء مظلمة .. لولا أن في الأرض أناساً يعرفون الله تبارك وتعالى ، ويشهدون له بالوحدانية لسلط جهنم على أهل الدنيا جميعاً فأحرقتهم ، ولذلك لا تقوم الساعة ورجل في الأرض يقول : (لا إله إلا الله) .. وقد يتساءل المرء : هل يزداد الكفر ويقل الإيمان تدريجياً حتى لا يبقى على الأرض مؤمن فتقوم الساعة ؟! .. لا .. وإنما إذا أراد الله تبارك وتعالى أن تقوم الساعة أرسل ريحاً فمَرَّتْ على الأرض ، فقبضت أرواح المؤمنين جميعاً دفعة واحدة ، ولا يبقى على الأرض إلا الكفار ..

[يَا مُوسَى ، لَوْلَا مَنْ يَعْبُدُنِي مَا أَمْهَلْتُ لِمَنْ يَعْصِينِي طَرْفَةَ عَيْنٍ] : إذا فوجود

الصالحين رحمة ، ومن أجلهم يمهل الله تبارك وتعالى العصاة ..

[يَا مُوسَى ، إِنَّهُ مَنْ آمَنَ بِي فَهُوَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيَّ] : إذا فأساس الكرامة هو

الإيمان .. فإن كان العبد مؤمناً حقاً ، فهو أكرم العباد على الله تبارك وتعالى ، وإذا

كان كذلك : ترى ماذا يكون حاله في الدنيا ؟! وماذا يكون مآله في الآخرة ؟! ..

والغالبية العظمى من الناس الصالحين والمؤمنين يُخفى ربُّنا عنهم مقامهم حتى يظلموا

- دائماً وأبداً - على وَجَل ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويحميهم من الغرور

والكسل والالتكّال ..

ويتضح من الحديث : فضل التوحيد على الدنيا ، وفضل الموحدين على الناس ،

وفضل الطائعين على العصاة ..

[يَا مُوسَى ، إِنَّ كَلِمَةً مِنَ الْعَاقِ تَرُنُّ جَمِيعَ رِمَالِ الْأَرْضِ] : والرمل لا قيمة

له ، ولكنه ثقیل الوزن .. فلو جُمع رمل الأرض كلها لوزنته كلمة واحدة من

العاق !! فتعجب موسى : مَنْ هذا الذى تزن كلمة منه كل رمال الأرض ؟! .. فعرفه

ربنا أن هذا العاق هو الابن الذى إذا أمره أبوه أو أمه لم يطع هذا الأمر ، لأن معنى :

[لَا لَبَّيْكَ] لا أُجيبك ..

والعقوق خطيرٌ جداً .. ويتضح ذلك من حديث رسول الله (ﷺ) : (أَلَا

أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .. قَالَ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ

الْوَالِدَيْنِ ...)^(١) .. والعقوق كذلك من الذنوب التى يُعَجِّلُ الله عقوبتها فى الدنيا قبل

^(١) رواه البخارى ، كتاب الأدب .

الآخرة .. وفي سورة الأعراف : (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ)^(١)
فمن هم أصحاب الأعراف ؟ قيل : إنهم رجال قُتلوا في سبيل الله شهداء ، ولكن
حدث منهم بعض العقوق في الدنيا .. فالشهادة أوجبت لهم الجنة ، والعقوق أوجب
لهم النار ، فأوقفوا بين الجنة والنار .. فلا هم دخلوا الجنة ، ولا هم دخلوا النار ..

وعن عبد الله ابن أبي أوفى (رضي الله عنه) أنه قال : جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال : يا
رسول الله ، إن ههنا غلاماً قد احتضر يقال له قل : (لا إله إلا الله) فلا يستطيع
أن يقولها !! قال : أليس قد كان يقولها في حياته ؟ قالوا : بلى ، قال : فما منعه منها
عند موته ؟ .. قال : فنهض رسول الله (ﷺ) ونهضنا معه حتى أتى الغلام ، فقال :
يا غلام ، قل : (لا إله إلا الله) ، قال : لا أستطيع أن أقولها ، قال : ولم ؟ قال :
لعقوق والدي ، قال : أحية هي ؟ قال : نعم ، قال : أرسلوا إليها ، فأرسلوا إليها ،
فجاءت ، فقال لها رسول الله (ﷺ) : ابنك هو ؟ قالت : نعم ، قال : أرايت لو
أججت نارا ضخمة فقل لك (إن شفعت له خلينا عنه ، وإلا حرقناه بهذه
النار) أكنت تشفعين له ؟ .. قالت : يا رسول الله ، إذن أشفع .. قال : فأشهدني
الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه ، قالت : اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني
قد رضيت عن ابني .. فقال له رسول الله (ﷺ) : يا غلام ، قل : (أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله) .. فقأها .. فقال رسول
الله (ﷺ) : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) ..^(٢)

والحديث عن الوالدين وبرهما يطول ..

^(١) سورة الأعراف آية ٤٦ . ^(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ودلائل النبوة .

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :
إِيمَانًا لَا يَنْفَدُ .. وَبِقِيْنًا لَا يَتَرَعَزُ ..
وَقُرَّةَ عَيْنٍ تَدُومُ ..
وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْبِرَّ بَابَانَا وَأُمَمَاتِنَا ..
وَأَنْ يَرْحَمَنَا وَإِيَّاهُمْ ..
وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الْعُقُوقِ ..
وَمِنْ ظُلْمِ الْحُقُوقِ ..



الحليم لا يعجل

٩ (أَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَخِي الْعُزَيْرِ : يَا عُزَيْرُ ، إِنَّ أَصَابَتَكَ مُصِيبَةً
فَلَا تَشْكُنِي إِلَى خَلْقِي ، فَقَدْ أَصَابَنِي مِنْكَ مَصَائِبُ كَثِيرَةٌ فَلَمْ أَشْكُكَ
إِلَى مَلَائِكَتِي .. يَا عُزَيْرُ ، اعْصِنِي بِقَدْرِ طَاقَتِكَ عَلَى عَذَابِي .. وَسَلْنِي
حَوَائِجَكَ عَلَى مِقْدَارِ عَمَلِكَ لِي .. وَلَا تَأْمَنْ مَكْرِي حَتَّى تَدْخُلَ جَنَّتِي ..
فَاهْتَرَّ عُزَيْرٌ يَبْكِي ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : لَا تَبْكُ يَا عُزَيْرُ ، فَإِنْ عَصَيْتَنِي
بِجَهْلِكَ غَفَرْتُ لَكَ بِحِلْمِي ، لَا تَنِي كَرِيمٌ لَا أَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى
عِبَادِي ، وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) ..
[رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

الحديث واضح المعنى ، وهو في غاية الأهمية ، لأنه يوضح ما يجب على العبد
حال المصيبة من صبر ورضا بالقضاء والقدر .. فإذا أصاب الإنسان مكروه ، ولقى
أحدًا فسأله عن حاله ، فأجاب ناظمًا على حياته أو سأله عن أولاده فاشتكى مُرَّ
الشكوى ، فإنه بهذا الأسلوب يشكو الله تبارك وتعالى ، وكأنه لا يرضى بقضائه
وقدره ، من أجل ذلك يقول الله تعالى لِعُزَيْرٍ : [إِنَّ أَصَابَتَكَ مُصِيبَةٌ فَلَا تَشْكُنِي إِلَى
خَلْقِي ، فَقَدْ أَصَابَنِي مِنْكَ مَصَائِبُ كَثِيرَةٌ فَلَمْ أَشْكُكَ إِلَى مَلَائِكَتِي] : كم من
معصية يرتكبها المرء ! .. وكم من جرم يرتكبه الإنسان ! .. وكم من أمر لا

يطيعه!.. وكم من نهى يخالفه!.. ومع ذلك يستره الله ويرزقه : (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) ^(١) فالإنسان يظلم نفسه ، ويكفر بنعمة الله ، ولا يشعر بالمنعم ، ولا يشكره على النعم التي أعطاه إياه .. ولو عد إنسان على نفسه المعاصي التي يرتكبها ، لوجد أنه لو عاجله ربُّه بالعقوبة لدمره وأهلكه ، ولو نظر إلى طاعاته لوجد أنها ليست كافية مهما قدّم من طاعات .. ومع ذلك يجزع عند المصيبة ، ويشكو حاله أو فقره أو مرضه لمن لا يملك له نفعا ولا ضرا ، ولا يذكر نعم الله عليه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى ..

ويُروى أن رجلا كان يأتي إلى مسجد النبي (ﷺ) فيصلي ثم ينصرف مسرعا ، ولا يمكث بالمسجد ولو قليلا ، فتعجب الصحابة منه ، وذهبوا إلى رسول الله (ﷺ) وأخبروه بأمره .. وحين سأله النبي (ﷺ) ، قال : يا رسول الله ، لا أملك إلا ثوبي هذا أحضر به إلى المسجد ، فأدرك الصلاة معك ، وأنصرف مسرعا فأخلع هذا الثوب وأعطيه لامرأتى تلبسه لتدرك الصلاة في وقتها .. فرّق النبي (ﷺ) لحاله ، وخلع رداءه وأعطاه إياه ، فأخذه الرجل وذهب إلى منزله فرحا مسرورا ، وأعطى امرأته ثوبه ، وأخبرها بما حدث ، فتعجبت وقالت : ويحك يا رجل ، أتشتكى الله لرسول الله!!..

[يَا غُزَيْرُ ، اعْصِنِي بِقَدْرِ طَاقَتِكَ عَلَى عَذَابِي] : تهديد ووعد لمرتكب المعاصي ليفكر ألف مرة قبل المعصية : هل يقوى على تحمل تبعاتها؟!.. لو عقل الإنسان هذا الكلام ما جرؤ على معصية الله .. فمن الذي يحتمل عذاب الله وهو

(١) سورة إبراهيم آية ٣٤ .

القائل : (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾) (١) ..

[وَسَلَّنِي حَوَائِجَكَ عَلَى مِقْدَارِ عَمَلِكَ لِي] : أى لك أن تطلب ما تشاء من

الله تبارك وتعالى ، بشرط النظر أولاً إلى ما عملت من عمل لله تستحق عليه ما تطلب .. فلو أن رجلاً يصلى طوال الليل فما هو فضله فى هذا العمل؟! ..

أولاً : هو مسلم هداه الله للإسلام ، فليس له فضل فى إسلامه .. ثانياً : مِمَّنْ تَعَلَّمَ الصلاة ؟ وَمَنْ أَعْطَاهُ الصَّحَّةَ لِيُؤَدِّيَهَا ؟ وَمَنْ أَيْقَظَهُ بِاللَّيْلِ لِلصَّلَاةِ ؟! .. هو ((الله))

القائل : (اللَّهُ يَتَوَقَّى آلَ الْنَفْسِ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) (٢) .. إذا فهو

القادر على أن يأخذ نَفْسَهُ ولا يعيدها ، فلا يستيقظ .. وكذلك الزكاة والصدقة :

مَنْ أَعْطَاهُ الْمَالَ ؟ وَمَنْ أَعْلَمَهُ بِفَرِيضَةِ الزَّكَاةِ ؟! .. وَمَنْ خَلَقَ الْفَقِيرَ وَأَلْجَأَهُ إِلَيْهِ ؟! ..

وَمَنْ بِيَدِهِ قَبُولُ هَذَا الْعَمَلِ ؟ كل ذلك من فضل الله .. إذا كان الأمر كذلك فليس

للعبد فضل فى شىء من عمله .. بل هو المستفيد منه فى الدنيا والآخرة : (مَنَّ عَمَلٌ

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) (٣) ..

[وَلَا تَأْمَنُ مَكْرِيَّ حَتَّى تَدْخُلَ جَنَّتِي] : إذا فعلى الإنسان أن يبقى على خوف

ووجل ، ويكى على خطيئته ، ولا يطمئن لعمله ، حتى يدخل الجنة .. وقد روى

عن أبى بكر الصديق (رضي الله عنه) قوله : (والله لا آمنُ مَكْرَ اللَّهِ وَلَوْ كَانَتْ إِحْدَى قَدَمَيَّ

فِي الْجَنَّةِ) ..

نعم لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا

(١) سورة الفجر الآيتان ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) سورة الزمر آية ٤٢ .

(٣) سورة فصلت آية ٤٦ .

أَلْقَوْمُ الْخَسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ^(١) .. والإنسان في هذه الدنيا لا يخلو عن التقصير في الطاعة ، ولا يخلو عن المعصية كذلك ، ولو حُسِبَ لهلك ، مصداقاً لقول النبي ﷺ : (مَنْ حُسِبَ هَلَكَ) ^(٢) .. كما أن دخول الجنة بالرحمة وليس بالعمل .. من أجل ذلك كله اهتز « عَزِير » يكي لأنها أمور فوق طاقة البشر : فلا أحد يمنع نفسه عن المعصية تماماً فكل ابن آدم خطاء ، ولا أحد يملك عملاً يستطيع أن يسأل الله به ، ولا أحد يستطيع أن يأمن مكر الله ، فلم يجد « عَزِير » غير البكاء فتداركه الله تبارك وتعالى برحمته ، وأوحى إليه : [لَا تَبْكُ يَا عَزِيرُ] وطمأنه بقوله : [فَإِنْ عَصَيْتَنِي بِجَهْلِكَ غَفَرْتُ لَكَ بِحِلْمِي ، لِأَنِّي كَرِيمٌ لَا أَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى عِبَادِي ، وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] : معنى هذا أن الله تبارك وتعالى لا يعجل بالعقوبة على عباده ، ويعطيهم الفرصة ليستغفروا ويتوبوا ، فإن فعلوا غفر لهم ، وهو سبحانه أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وسعت رحمته كل شيء ، فلا يأس من رحمة الله .. والله سبحانه وتعالى أرحم من أن يستر العبد في الدنيا ثم يفضحه في الآخرة على رءوس الخلائق ، فعلى العبد أن يَسْتَرَّ بستر الله ، ولا يُجَاهِرَ بمعصية الله .. فقد قال النبي ﷺ : (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ) ^(٣) ..

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى السَّتْرَ وَالسَّلَامَةَ ..
وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..

^(١) سورة الأعراف آية ٩٩ . ^(٢) رواه أحمد ، باقى مسند الأنصار . ^(٣) رواه البخارى ، كتاب الأدب .

شعار الصالحين

١٠ (أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ : يَا مُوسَى ، ارْضَ
بِكِسْرَةِ خُبْزٍ مِنْ شَعِيرٍ تَسُدُّ بِهَا جَوْعَتَكَ .. وَخِرْقَةٍ تُوَارِي بِهَا عَوْرَتَكَ ..
وَاصْبِرْ عَلَى الْمُصِيبَاتِ .. وَإِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُقْبِلَةً فَقُلْ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ عُقُوبَةً عَجَلَتْ فِي الدُّنْيَا .. وَإِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَالْفَقْرَ مُقْبِلًا
فَقُلْ : مَرْحَبًا بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ) ..
[رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الحديث :

يتضح من الحديث أمور منها :

أن عُمر الدنيا قصير ، وزادها قليل ، وخطرها حقير .. وأن الأنبياء والمرسلين
حُرِّمَ أكثرهم من الدنيا ، وكان النبي (ﷺ) فقيراً زاهداً فيها ، فقد قال (ﷺ) : (عَرَضَ
عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا ، قُلْتُ : لَا يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا ،
وَأَجُوعُ يَوْمًا - وَقَالَ ثَلَاثًا أَوْ نَحْوَ هَذَا - فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ،
وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ) ^(١) .. وكان (ﷺ) يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : (اَللّٰهُمَّ
أَحْيِنِي مِسْكِينًا ، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ) ^(٢) .. وتقول

^(١) رواه الترمذی ، كتاب الزهد .

^(٢) رواه ابن ماجه ، كتاب الزهد .

السيدة عائشة (رضى الله عنها) : (مَا شَبَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) مِنْ خُبْزِ شَعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ)^(١) .. وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) قَالَتْ : كَانَ يَمُرُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَلَالٌ ، وَهَلَالٌ ، وَهَلَالٌ ، مَا يُوقَدُ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِ نَارٌ .. قُلْتُ يَا خَالَةَ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ ؟! قَالَتْ : عَلَى الْأَسْوَدَيْنِ : التَّمْرِ وَالْمَاءِ^(٢) ..

وقد علمنا أن كل ما زاد على الكفاف أو الكفاية يُعْتَبَرُ من النعيم الذي يُسأل عنه العبد يوم القيامة .. فعَنْ أَبِي عَسِيبٍ - مولى رسول الله ﷺ - قَالَ : (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلًا فَمَرَّ بِي فَدَعَانِي إِلَيْهِ فَخَرَجْتُ ، ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَرَّ بِعُمَرَ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَأُتِلِقَ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا^(٣) لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْحَائِطِ : أَطْعِمْنَا بُسْرًا^(٤) ، فَجَاءَ بِعَدْقٍ^(٥) فَوَضَعَهُ ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ بَارِدٍ فَشَرِبَ فَقَالَ : لَتَسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : فَأَخَذَ عُمَرُ الْعَدْقَ فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى تَنَاقَرَ الْبُسْرُ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَّنَا لَمَسْئُولُونَ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟! قَالَ : نَعَمْ إِلَّا مَنْ ثَلَاثَ : خَرَقَةٌ كَفَّ^(٦) بِهَا الرَّجُلُ عَوْرَتَهُ ، أَوْ كِسْرَةٌ سَدَّ بِهَا جَوْعَتَهُ ، أَوْ جُحْرٌ يَتَدَخَّلُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ^(٧))^(٨) ..

(١) رواه الترمذى ، كتاب الزهد . (٢) رواه أحمد ، باقى مسند الأنصار . (٣) حائطاً : بستاناً .

(٤) البُسْرُ : أول ما يُدْرِك من التمر . (٥) العدق : الغصن من النخل فيه ثمره . (٦) كف : أى ستر .

(٧) القر : البرد . (٨) رواه أحمد ، مسند البصريين .

ويروى أن « عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ » (رضي الله عنه) أَتَى بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ :
 (قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ : إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ
 رِجْلَاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ .. وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. ثُمَّ بُسِطَ
 لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ - أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - وَقَدْ خَشِينَا أَنْ
 تَكُونَ حَسَنَاتِنَا عُجِّلَتْ لَنَا .. ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ) (١) ..

وقد ذم الله تبارك وتعالى الدنيا في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، مثل :
 (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
 ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ) (٢) .. (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآ مَتَّعِ
 الْغُرُورِ) (٣) .. (مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (٤) ..
 (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ) (٥) ..
 وكذلك في أحاديث قدسية : (يَا دُنْيَا اخْدُمِي مَنْ خَدَمَنِي ، وَاسْتَخْدُمِي مَنْ
 خَدَمَكَ) (٦) .. (يَا دُنْيَا مَرِّي عَلَى أَوْلِيَائِي ، لَا تَحْلُولِي لَهُمْ فَتَفْتِيهِمْ) (٧) .. ويقول
 الله يوم القيامة : (أَذْنُوا مِنِّي أَحِبَّائِي .. فتقول الملائكة : وَمَنْ أَحِبَّاؤُكَ ؟! .. فيقول :
 فقراء المسلمين .. فَيُذَنُّونَ مِنْهُ .. فيقول : أما إِنِّي لَمْ أَزُودِ الدُّنْيَا عَنْكُمْ لَهْوَانِ كَانَ
 بِكُمْ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ بِذَلِكَ أَنْ أُضَعِّفَ لَكُمْ كَرَامَتِي الْيَوْمَ فَتَمَنَّوْا عَلَيَّ مَا
 شِئْتُمْ الْيَوْمَ ، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا) (٨) .. ويقول

(١) رواه البخارى كتاب الجنائز . (٢) سورة هود الآيتان ١٥ ، ١٦ . (٣) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

(٤) سورة النساء آية ١٣٤ . (٥) سورة البقرة آية ٢٠٠ . (٦) رواه القضايعي عن ابن مسعود.

(٧) رواه القضايعي عن ابن مسعود. (٨) رواه أبو الشيخ عن أنس (رضي الله عنه) .

الرسول (ﷺ) : (يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ ، وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ)^(١) .. ويقول (ﷺ) : (اتَّقَى مُؤْمِنَانِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ : مُؤْمِنٌ غَنِيٌّ ، وَمُؤْمِنٌ فَقِيرٌ ، كَانَا فِي الدُّنْيَا ، فَأَدْخَلَ الْفَقِيرُ الْجَنَّةَ ، وَحُبِسَ الْغَنِيُّ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُحْبَسَ ثُمَّ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، فَلَقِيَهُ الْفَقِيرُ فَيَقُولُ : أَيُّ أَخِي ، مَاذَا حَبَسَكَ ؟! وَاللَّهِ لَقَدْ احْتَبَسْتُ حَتَّى خَفْتُ عَلَيْكَ !! فَيَقُولُ : أَيُّ أَخِي ، إِنِّي حُبِسْتُ بِعَدَاكَ مَحْبَسًا فَظِيحًا كَرِيهًا ، وَمَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ حَتَّى سَالَ مِنِّي الْعَرَقُ مَا لَوْ وَرَدَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ كُلُّهَا آكَلَتْهُ حَمْضٌ^(٢) لَصَدَرَتْ عَنْهُ رِوَاءٌ^(٣))^(٤) .. إنه موقف السؤال : ماذا تركت ؟ وكيف اكتسبت ؟ وفيما أنفقت ؟ .. وكلما كثر مال العبد طال موقفه للسؤال .. وليس معنى ذلك أن نرفض المال إذا أتانا ، وإنما علينا أن نعمل فيه بطاعة الله .. فمن العباد من لو أغناه الله لفسد حاله .. ومن العباد من لو أفقره الله لفسد حاله ..

[وَاصْبِرْ عَلَى الْمُصِيبَاتِ] : لبيان الصبر المطلوب نروى القصة التالية : مر النبي (ﷺ) بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ ، فَقَالَ لَهَا : (اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي) .. فلم تعرفه المرأة وَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي ، فَلَمَّا عَرَفَتِ الْمَرْأَةَ فِيمَا بَعْدَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ذَهَبَتْ إِلَيْهِ عَلَى الْفُورِ وَقَالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَمْ أَعْرِفْكَ .. فلم يُلَمِّها (ﷺ) وقال : (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى)^(٥) ..

من ذلك يتضح أن بكاء المرأة عند القبر كان نواحًا ، وإلا لما قال لها النبي (ﷺ) : (اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي) .. لأن الدموع لا ضرر فيها ، وقد بكى عليه الصلاة والسلام

(١) رواه الترمذی ، كتاب الزهد . (٢) الْحَمْضُ : كل نبات فيه ملوحة ، إذا أكلته الإبل شربت عليه .

(٣) رِوَاءٌ : غير عطاش . (٤) رواه أحمد ، مسند بنی هاشم . (٥) رواه أحمد ، والبخاری .

مراراً : بكى حين كان حفيده يموت في حجره فتحدرت الدموع من عينيه فقيل له :
مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ !! قَالَ : (هَذِهِ رَحْمَةٌ يَضَعُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحِمَاءَ) ^(١) ، وبكى حين مات ابنه إبراهيم ..
إذا فالصبر المطلوب هو عند مفاجأة المصيبة فيتلقاها العبد بالرضا قائلاً : (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ) ..

[وَإِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُقْبِلَةً فَقُلْ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ عُقُوبَةٌ عَجَلَتْ فِي
الدُّنْيَا] : إذا أقبلت الدنيا ، واطمأن لها الإنسان ، لا يفكر في الموت وإنما يفكر في
الاستمتاع بها .. فالدنيا فتنة ، لذا وجب أن يقول : (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ) ..
فأنت وما تملك لله .. وسيأتي يوم تُرجع فيه إلى الله ، فلا تغفل عن الموت ، واستغل
الدنيا التي أقبلت عليك في مرضاة الله وطاعته ، وأنفق ، وأحسن كما أحسن الله
إليك ، وصلِّ رحمك وصلِّ أهل قرابتك من الفقراء بسدِّ حاجاتهم ، فما أجمل الدنيا
والدين إذا اجتمعا ..

ولذا ذهب فقراء المهاجرين إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ
بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى ، وَالتَّعِيمِ الْمُقِيمِ : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ،
وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ : يَحْجُونَ بِهَا ، وَيَعْتَمِرُونَ ، وَيُجَاهِدُونَ ، وَيَتَصَدَّقُونَ ..
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (أَفَلَا أَعَلَّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ ، وَتَسْبِقُونَ
بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَلَا يَكُونَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟) قَالُوا :

(١) رواه البخارى ، كتاب الإيمان والنذور .

بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .. قَالَ : (تُسَبِّحُونَ ، وَتَحْمَدُونَ ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ) .. فَرَجَعَ فَقَرَأَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا ، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ !! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) ^(١) ..

[عُقُوبَةُ عَجَلَتْ فِي الدُّنْيَا] : لَأَنَّ الدُّنْيَا حِينَ تَقْبَلُ عَلَيْكَ لَيْسَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الرِّضَا ، فَاللَّهُ يَعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَلِمَنْ لَا يُحِبُّ .. بَلْ قَدْ تَكُونُ فِتْنَةٌ وَاسْتِدْرَاجًا فَتَطْغِيكَ وَتُنْسِيكَ آخِرَتَكَ ، وَإِنْ لَمْ يَحْدَثْ فَلَنْ تَمُرَ بِغَيْرِ سُؤَالٍ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..

[وَإِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَالْفَقْرَ مُقْبِلًا فَقُلْ : مَرَحَبًا بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ] : نَعَمْ لَأَنَّ الرَّسُولَ (ﷺ) يَقُولُ : (فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ) ^(٢) ..

اللَّهُمَّ خَرْنَا .. وَاخْتَرْنَا لَنَا ..
وَاخْتَرْنَا لَنَا الْخَيْرَ كُلَّهُ .. وَأَرْضَنَا بِهِ ..



^(١) رواه البخاري ومسلم .

^(٢) رواه الترمذي ، كتاب صفة القيامة .

صِلَةُ الرَّحِمِ

١١ (أَنَا الرَّحْمَانُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي .. فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ ، وَمَنْ ثَبَّتَهَا ثَبَّتَهُ .. إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) ..

[رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عَوْفٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، وَالْحَاكِمُ ، وَالْخَرَائِطِيُّ وَالْخَطِيبُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]
ويقول الله تبارك وتعالى لِلرَّحِمِ :

١٢ (خَلَقْتُكَ بِيَدَيَّ ، وَشَقَقْتُ لَكَ اسْمًا مِنْ اسْمِي ، وَقَرَّبْتُ مَكَانَكَ مِنِّي .. وَعِزَّتِي وَجَلَالِي : لِأَصِلَنَّ مَنْ وَصَلَكَ ، وَلَا أَقْطَعَنَّ مَنْ قَطَعَكَ ، ثُمَّ لَا أَرْضَى حَتَّى تَرْضَى) ..
[رَوَاهُ الْحَكِيمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)]

شرح الأحاديث :

الرَّحِمُ هم القرابة ، والرَّحِمُ درجات : فالإِخْوَةُ من أُمَّ أَقْرَبِ النَّاسِ رَحِمًا ، وكذلك كل من اشترك في رحم واحدة مثل : أبناء الخال وأبناء الخالة وأبناء العمومة ، لأن الأب والعم من رَحِمٍ واحدة ، وكذلك الفروع تصبح من رحم واحدة .. وذوو الرَّحِمِ يدخل فيهم ذوو القربى جميعا وإنما هي درجات بِحَسَبِ قُرْبِ الرَّحِمِ .. وصِلَةُ الْأَرْحَامِ من أهم الأمور في الدين ، لأنها من الأخلاق الحميدة التي أمر

بها الإسلام .. وهى تأتى فى الأهمية بعد برِّ الوالدين مباشرة .. وصلة الرحم هى إيصال كل خير إلى ذوى القربى ، ودفع كل شر عنهم بحسب الاستطاعة ، وعلى قدر الطاقة .. وبالتالي إذا كان ذو الرحم فقيراً فالصلة تكون بالمال ، وإن كان مظلوماً فالصلة بالنصر والتأييد ، وإن كان مريضاً فالصلة بالزيارة والعيادة ، وإن كان قوياً ذا فضل جاهد فصلة الرحم النصح .. وإن كان ضالاً فالصلة بالوعظ والإرشاد والتعليم ، وهكذا ..

فإذا كان الأمر كذلك وجدنا أنه ما من أحد فينا إلا وقد أمر بصلة الرحم ، ولا أحد فينا إلا وهو إما واصل لرحمه أو قاطع لها ..

ففى الحديث الأول : [فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ ، وَمَنْ ثَبَّتَهَا ثَبَّتَهُ] و« الثبيت » تأكيد للوصل الذى لا ينقطع ..

وفى الحديث الثانى : [ثُمَّ لَا أَرْضَى حَتَّى تَرْضَى] معنى هذا أن ذوى الأرحام لهم حقوق ، إذا لم يأخذوها فى الدنيا طالبوا بها يوم القيامة ، يوم لا درهم ولا دينار .. وأحسن الناس خُلُقاً وأكرمهم على الله تبارك وتعالى هو مَنْ وصل مَنْ قَطَعه ، وأعطى مَنْ حرمه ، وعفا عَمَّن ظلمه ، وهو خُلُقُ النبى (ﷺ) فقد أمره الله تبارك وتعالى بذلك .. وهكذا خُلُقُ الأنبياء جميعاً فترى « يُوسُفَ الصِّدِّيق » يقول لإخوته على رغم ما فعلوه به كما حكى القرآن الكريم : (لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ ^طالْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ^طوَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)^(١) .. وحين فُتحت مكة وجاء صناديد قريش الذين

(١) سورة يوسف آية ٩٢ .

عادوا النبي (ﷺ) وكذبوه وآذوه قال لهم : (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟) قَالُوا : خَيْرًا ، أَخْ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ .. قَالَ : (اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ)^(١) .. وكان عليه الصلاة والسلام حينئذ قادرًا على أن يقطع رقابهم ، ويرد لهم الإساءة ، ومع ذلك قال لهم : (لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) .. وقد تعدت صلته (ﷺ) لرحمه أهله إلى مُرْضَعَتِهِ « حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّة » حيث كان ييسط لها رداءه لتجلس عليه ، ويكرم وفادتها ، وكذلك فعل مع « الشَّيْمَاء » أخته من الرضاعة ..

ولا يصح قطع الرَّحِمِ إلا في حالة واحدة وهى : أن يكون ذو الرَّحِمِ كافرًا فاجرًا ، لا يُجْدَى معه نُصْحٌ ولا وَعْظٌ ، بل يحدث الضرر بصلته .. على أن نستمر في الدعاء له بالهداية طالما كان حيًّا ، ومصاحبته بالمعروف كلما تيسر ذلك ..

ويقول النبي (ﷺ) : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَكَ)^(٢) .. وهذا الحديث يؤكد المعنى الذى ورد فى الحديث القدسى .. وَيُنَبِّهُنَا (ﷺ) إلى أن الصَّدَقَةَ على الفقير صَدَقَةٌ ، وعلى ذى الْقُرْبَى ثَنَانٌ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ ..

ومما لا شك فيه أن بعض الناس يكونون على خلاف مع ذوى القربى على أمور دنيوية (كالميراث مثلاً) فلنعمل جاهدين على أن نُنْهِى هذه الخلافات بالتسامح والرجوع إلى الحق ، والবাদئ بذلك خيرٌ من غيره ، فالمسلمان إذا التقيا وسلَّم أحدهما

(١) سيرة ابن هشام .

(٢) رواه البخارى ، كتاب الأدب .

على الآخر أنزل الله تبارك وتعالى عليهما رحمة قدرها مائة جزء ، فأعطى للبادئ
بالسلام تسعة وتسعين جزءاً ، وأعطى لمن رد السلام جزءاً واحداً ..
فيجب علينا أن نصل رحمتنا سواء أكانا ظالمين أم مظلومين : فالظالم يجب عليه
أن يستغفر الله ويؤدى الحق ، والمظلوم يعفو ويصفح ، لأن العفو والصفح يؤديان إلى
عفو الله تبارك وتعالى ، إذ قال : (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ^١)
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١) فإذا عفوت وصفححت فثق أن الله سيجزيك بالمغفرة والعفو ..
ولنعلم أن اسم الرحيم مشتق من أسماء الله تبارك وتعالى وهذا يوضح شرف
الرحيم ، ومدى قدرها العالى الكريم الجليل .. ومن الخطورة بمكان أن لا نستوعب
قوله تعالى : [إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي] إذاً فلو كان بينك وبين ذوى الرحم
شئ فاجعل الرحمة تسبق الغضب ، ودع الخير يسبق الشر ، والمعروف يسبق
المنكر ..

ولعلَّ الله - تبارك وتعالى - يَهْدِينَا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ..
وَيُصْلِحُ نَفُوسَنَا .. وَيُصْلِحُ ذَاتَ بَيْنِنَا ..
إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ ..
وَهُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ..

(١) سورة النور آية ٢٢ .

الصبر على البلاء

١٣ (إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا شَرِيكَ لِي ، إِنَّ مَنْ اسْتَسْلَمَ لِقَضَائِي ، وَرَضِيَ بِحُكْمِي ، وَصَبَرَ عَلَى بَلَائِي بَعَثْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصَّادِقِينَ) ..

[رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)]

هذا الحديث يختص بركن من أركان الإيمان وهو الرضا بالقضاء والقدر خيره وشره .. حلوه ومُره ..

ويقول حديث قدسي آخر :

١٤ (انْطَلِقُوا يَا مَلَائِكَتِي إِلَى عَبْدِي ، فَصُوبُوا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبًّا ، فَیَصُوبُونَ عَلَيْهِ الْبَلَاءَ ، فَيَحْمَدُ اللَّهَ ، فَيَرْجِعُونَ فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا صَبَبْنَا عَلَيْهِ الْبَلَاءَ كَمَا أَمَرْتَنَا ، فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ) ..

[رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الأحاديث :

« الإيمان » : هو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورُسُله ، واليوم الآخر ،

وبالقضاء والقدر خيره وشره .. حلوه ومُره .. وإذا أردنا أن نلخص الإيمان والإسلام .. نجد أن الإسلام أساسه الاستسلام لأوامر الله تبارك وتعالى .. فأركان الإسلام هي : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..

أما الإيمان فهو عبارة عن التصديق بالغيبات ، والرضا بالقضاء والقدر : فنحن لم نر الله ، ومع ذلك نؤمن به ، ونُصدّق بوجوده .. والملائكة غيب ، وكذلك الكُتُب السابقة ، والرُّسُل ، فنحن لم نر « نُوحًا » ، و« إبراهيم » ، و« موسى » ، و« عيسى » .. ومع ذلك نؤمن برسالاتهم جميعا ، ونصدق بهم وبجميع الأنبياء ، وبمعجزاتهم دون أن نراها .. ورضانا بالله رباً يستوجب الإيمان بأن له الحكم .. وله الأمر .. وله التصريف .. وله التدبير .. فلا يمكن أن يصدر حكمه أو أمره أو قضاؤه إلا عن حكمة وإن خفيت على ذوى الألباب .. فإذا آمنت بذلك وصدقت به فلا شك أنك سترضى بكل ما يأتيك من قبل الله تبارك وتعالى ..

ولذلك فالإيمان درجات ، يزيد وينقص ، فلا يتساوى الناس أبداً في إيمانهم .. وكان ابن عيَّاش (رضي الله عنه) يقول : (مَا سَبَقَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ ، إِنَّمَا سَبَقَكُمْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ) .. والصحابة كلهم مؤمنون ، ولكن أبا بكر كان أعلى الناس في درجات الإيمان ..

والقضاء في اللغة هو القطع أو الفصل أو الانتهاء من الأمر والفراغ منه وإحكامه :

(فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) ^(١) أى : فرغ من إتمامهن وخلقهن على ما هن عليه
الآن .. (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) ^(٢) أى : حَكَمَ وأَمَرَ بذلك .. أما القَدَرُ
فهو تفصيل القضاء : أين ؟ ومتى ؟ وكيف يكون ؟ .. فقد قضى ربنا تبارك وتعالى
أن يخلق آدم ليكون خليفة في الأرض فذلك قضاء .. وأما القَدَرُ : فهو شكل آدم ،
وطوله ، وأين ينزل ، وما إلى ذلك من تفصيلات ..

ومثال ذلك من أمور الدُّنْيَا : قرار إنشاء مبنى لغرض معين فذلك قَضَاءٌ ،
وما يحتاجه الإنشاء من : مواد ، وأدوات ، وأيدٍ عاملة بمواصفات ومقادير معينة
فهو قَدَرٌ ..

وكلمة « قَدَرٌ » قد تأتي في القرآن بمعنى تفصيلات القضاء ، وقد تأتي أيضا
بمعنى المقدار مثل قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) ^(٣) .. (وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ) ^(٤) ..

والاستسلام لقضاء الله سبحانه وتعالى معناه : الرِّضَا .. فالناس جميعا يستسلمون
لقضاء الله طوعاً أو كرهاً ، فمثلاً : رجل تُوفِّي ولده !! فماذا يفعل في قضاء الله ؟!
لا يملك تغييره ، فهو إما مُستسلم لقضاء الله على رغم أنفه غير راضٍ عنه .. وإما
راضٍ بقضاء الله فيقول : (كَانَتْ عَارِيَةً فَاسْتَرَدَّهَا صَاحِبُهَا ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ) وهذا هو الذى استسلم لقضاء الله مختاراً راضياً ..

^(٣) سورة القمر آية ٤٩ .

^(٢) سورة الإسراء آية ٢٣ .

^(١) سورة فصلت آية ١٢ .

^(٤) سورة المؤمنون آية ١٨ .

والرِّضَا بِحُكْمِ اللَّهِ : أَنْ تُؤْمِنَ إِيمَانًا صَادِقًا بقوله عز وجل : (إِنْ أَلْحَمَّكَ إِلَّا اللَّهُ)^(١) .. فهو الْمَلِكُ الَّذِي يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ، فتلقى كل ما يحدث لك بالإذعان والتسليم : فَإِنْ كَانَ خَيْرًا شَكَرْتَ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا صَبَرْتَ .. والبلاء قد يأتى بمعنى الاختبار ، وقد يأتى بمعنى المصيبة : (وَنَبَلُّوكُمُ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)^(٢) أى : نختبركم ونمتحنكم .. (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾)^(٣) أى : نصيكم ببعض المصائب ، فمن صبر فله البُشْرَى ، ودليل صبره أن يقول : (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) مخلصاً من قلبه ..

والصبر على البلاء : أَنْ تُؤْمِنَ إِيمَانًا رَاسِخًا بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْضِي إِلَّا بِالْحَقِّ : (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ)^(٤) وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَفْعَالَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صَادِرَةٌ عَنْ حِكْمَةٍ وَعِلْمٍ ، وَأَنْ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ اللَّهُ .. وَأَنْ إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَأُ ..

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا بَدَّ أَنْ تُسْتَسْلِمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَأَنْ تَرْضَى بِحُكْمِهِ ، وَتَصْبِرَ عَلَى بَلَائِهِ ، فَإِذَا فَزَتْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ بُعِثَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ ، وَالصِّدِّيقُونَ : جَمْعُ صَدِّيقٍ ، وَالصَّدِّيقُ هُوَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ وَلَا يَرْتَابُ .. وَقَدْ لُقِّبَ « أَبُو بَكْرٍ » بِالصَّدِّيقِ لِأَنَّهُ صَدَّقَ النَّبِيَّ (ﷺ) مِنَ الْبَدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ ، وَلَمْ يَرْتَبْ فِيهِ قَطُّ .. فَإِذَا بُعِثَتْ مَعَ الصِّدِّيقِينَ فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّكَ لَمْ تَرْتَبْ فِي قَضَاءِ اللَّهِ ،

(١) سورة يوسف آية ٤٠ . (٢) سورة الأنبياء آية ٣٥ . (٣) سورة البقرة الآيتان ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٤) سورة غافر آية ٢٠ .

لأن قضاء الله عدل وحق ..

فالعبد في هذه الدنيا يتقلب بين الفضل والعدل .. فما أصابك من رحمة ، أو نعمة فذلك من فضل الله وليس باستحقاقك .. وما أصابك من ضرٍّ في بدن أو مال أو ولد ، فذلك بعدل الله ..

فقضاء الله تبارك وتعالى ، وتصرفه في الإنسان إما فضل وإما عدل ، فإذا كان فضلاً فقل : الحمد لله وأنا لا أستحق هذا ، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء ، فتشعر أنك عبد إحسان ، وتصبح غير شديد التمسك بما آتاك لأنه فضل .. وإذا أصابك ما يَسُوؤُكَ فأيقنت أن ذلك عدل الله فيك ، وأن الله تبارك وتعالى ليس بظلام للعبيد رُزِقَت الصبرَ والرضا وهدوء البال .. وليس معنى ذلك أن كل من أصابته مصيبة يكون مُسْتَحِقًّا لها .. فقد تُكتب له المنزلة في الجنة لا يبلغها بعمله ، فيتليه الله تبارك وتعالى بالمصيبة ، ويرزقه الصبر عليها ، فيبلغ منزلته بالصبر ، وليس بالعمل ، ولذا نجد الله تبارك وتعالى يقول : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ) ^(١) ..

والمؤمن الحقيقي لا يفرح بدنيا تصيبه ، ولا يحزن على فواتها ، ولكنه يفرح بالطاعة ، وتحزنه المعصية .. فكل ما فاتك من الله سِوَى الله يَسِيرٌ .. وَكُلُّ حَظٍّ لَكَ سِوَى اللَّهِ حَقِيرٌ : (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ۖ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) ^(٢) ..

^(١) سورة الحديد الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

^(٢) سورة يونس آية ٥٨ .

ويقول (ﷺ) : (إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ) ^(١) ..

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ :
تَسْرُهُمْ طَاعَتُهُمْ .. وَتَسُوهُمْ مَعْصِيَتُهُمْ ..



^(١) رواه أحمد ، باقى مسند الأنصار .

العَفْوُ لِمَنْ عَفَا

١٥ (إِنَّكَ إِنْ ذَهَبْتَ تَدْعُو عَلَى آخَرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ظَلَمَكَ ، وَإِنْ آخَرَ يَدْعُو عَلَيْكَ أَنَّكَ ظَلَمْتَهُ .. فَإِنْ شِئْتَ اسْتَجَبْنَا لَكَ وَعَلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُكُمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَوْسِعُكُمَا عَفْوِي) ..
[رَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الحديث :

لا أحد منا لم يُظلم أو يشعر بالظلم يوماً .. والإحساس بالظلم له مرارة فظيعة - لا يستشعرها إلا مَنْ ذاقها - تدفعه إلى الدعاء ، فيدعو على مَنْ ظلمه ، ودعاء المظلوم غاية في الخطورة لأنه مستجاب .. يقول النبي (ﷺ) : (اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ) ^(١) .. ويقول : (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ : يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْعَمَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَا تُصْرِّتُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) ^(٢) .. وقد ورد في الحديث القدسي : (اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِي) ^(٣) ..

ولا يشترط في المظلوم - الذي يستجاب دعاؤه - أن يكون صالحاً أو تقيّاً ،

^(٢) رواه الترمذی ، كتاب الدعوات .

^(١) رواه البخاری ، كتاب المظالم والغصب .

^(٣) رواه الطبرانی في المعجم الصغير .

فنص الحديث لم يحدد نَوْعَ المظلوم صَالِحًا كان أم فاسقًا ، لأننا في مملكة الْحَكَمِ العدل الذى أمرنا بالعدل فى الرضا والغضب إذ يقول : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوْا) ^(١) .. ونقول للمظلوم : لا شك أنك فى يوم من الأيام ظلمت أحد الناس ، ولو بسوء ظنِّكَ فيه - والعبرة بإحساس من يشعر بأنه ظلم ، وليس بإحساس مَنْ ظلمه - وإن أمامك أمرًا من اثنين : إما أن ترفع يديك بالدعاء فَتُجَابَ ، عاجلاً : بأن ينصرك الله ويرد عنك المظالم ، أو آجلاً : بأن يُؤَخَّرَكَ إلى يوم القيامة فيعطيك حَقَّكَ ممن ظلمك ، وفى هذه الحالة يستجيب الله تبارك وتعالى لدعاء مَنْ ظَلَمَ على يديك عاجلاً أو آجلاً .. وإما أن تعفُوَ وتصفح عمن ظلمك ، وفى هذه الحالة قد يُلْهِمَ الله تبارك وتعالى مَنْ ظلمته أن يعفُوَ عنك هو الآخر ، ويصفح فيجازيكما الله على عَفْوِكُما بالعفو والصفح يوم القيامة ..

وقد أمر الله تبارك وتعالى بالعفو ، وبَشَّرَ بالشواب عليه فى قوله : (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ^(٢) .. (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) ^(٣) .. (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) ^(٤) ..

اللَّهُمَّ إِنَّكَ غَفُورٌ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا ..
وَارْزُقْنَا الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ ، والدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةِ ..

^(٣) سورة الشورى آية ٤٠ .

^(٢) سورة النور آية ٢٢ .

^(١) سورة المائدة آية ٨ .

^(٤) سورة الشورى آية ٤٣ .

أهل المعروف

١٦ (أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى (ذِي الْقَرَيْنَيْنِ) : وَعَزَّيْتُ وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَسَأَجْعَلُ لَهُ عِلْمًا .. فَمَنْ رَأَيْتُهُ حَبَبْتُ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفَ وَاصْطِنَاعَهُ ، وَحَبَبْتُ إِلَى النَّاسِ الطَّلَبَ إِلَيْهِ ، فَأَحَبَّهُ ، وَتَوَلَّاهُ ، فَإِنِّي أُحِبُّهُ وَأَتَوَلَّاهُ .. وَمَنْ رَأَيْتُهُ كَرِهْتُ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفَ ، وَبَغَّضْتُ إِلَى النَّاسِ الطَّلَبَ مِنْهُ ، فَأَبْغَضْتُهُ ، وَلَا تَتَوَلَّاهُ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَرِّ مَنْ خَلَقْتُ) ..

[رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ عَنْ أَبِيهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)]

شرح الحديث :

في سورة الكهف تحدث القرآن عن « ذى القرنين » .. وقد اختلف الناس في أمره : أهو رَسُول ؟ أم هو نَبِيٌّ ؟ أم هو عبد صالح مكَّنه الله في الدنيا ، وأعطاه من الأسباب ما يستطيع معها أن يُسيطر على الأرض وأهلها ؟ ..

وَمَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ لَا يَلْزِمُهُ قُوَّةٌ مَادِيَّةٌ كَالسَّلَاحِ وَالْجُنُودِ ، وَإِنَّمَا يَلْزِمُهُ مَفَاتِيحُ .. وَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ : حِينَ جَاءَتْ « سُلَيْمَانُ » أَنْبَاءُ « بَلْقِيسَ » قَالَ : (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا) ^(١) - وَكَانَ الْجَنُّ مُسَخَّرًا لَهُ - فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنَ الْجِنِّ : إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَقَامِهِ ، وَكَانَ يَعْنِي قَبْلَ انْتِهَاءِ مَجْلِسِهِ .. وَكَانَ

(١) سورة النمل آية ٣٨ .

لـ « سليمان » مجلسان : مجلس مع الجن ، ومجلس مع الإنس ، وكانا لا يجتمعان :
 (قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ^ط وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
 أَمِينٌ) ^(١) .. فلما انتقل إلى مجلس الإنس ، قال له إنسان (قيل : هو وزير له اسمه
 آصف) : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، ولم ينتظر جوابه ، لأنه لو انتظر
 للبت وقتاً ومضى زمن ، فجاءه به مباشرة : (أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
 طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) ^(٢) وما جاءه به هو العرش ، والعرش هنا : الجدران
 وما عليها ، وأرضه وما عليها .. أى قوة هذه التى تفعل ذلك ؟! .. إنها أحد هذه
 المفاتيح التى نتكلم عنها ..

وكمثل « عيسى » حين قال : (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ
 فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ) ^(٣) كيف تأتى له هذا ؟! .. إنها قوة ومقدرة
 آتاه الله إياها .. وكذلك « ذو القرنين » كان له من القوة والمقدرة ما يفوق
 الخيال ، حتى إنه حبس « يأجوج ومأجوج » وبني دونهم السور .. وعلى الرغم
 من التقدم العلمى الهائل الذى وصلنا إليه فى عصرنا الحالى وما سوف نصل إليه ،
 فـ « يأجوج ومأجوج » إذا خرجوا ودمروا السد ، فلن يقدر عليهم أهل الأرض
 جميعاً ، فكيف استطاع أن يجبسهم ، ويبنى دونهم سدّاً ؟! .. إنها المفاتيح التى
 نتحدث عنها ..

والحديث المذكور يكاد يكون هو الوحيد الذى ذُكر فيه اسم « ذى القرنين » ،

^(٣) سورة آل عمران آية ٤٩ .

^(٢) سورة النمل آية ٤٠ .

^(١) سورة النمل آية ٣٩ .

وغرابة الحديث هي فيما أوحى الله به إلى « ذى القرنين » : إنه المعروف وأهله ..
فقد كان « ذو القرنين » من أهل المعروف .. إذ قال القوم له : ابن لنا سدًّا ، لأن
« يأجوجَ ومأجوجَ » يفسدون في الأرض ، وقالوا له : نعطيك ما تطلب من المال ،
فرفض : (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ) ^(١) فهو يصنع ما يصنع من المعروف لوجه
الله ..

وكثيرا ما نسمع كلمة « المعروف » ، فما هو المعروف ؟ أصل الكلمة في اللغة
من الفعل : « عَرَفَ يَعْرِفُ » ، ويقال : « فلان معروف » أى : يَعْرِفُهُ الناس ،
فَسُمِّيَ المعروفَ معروفًا لأنه قد عُرِفَ حُسْنُهُ بالشرع والعقل .. و« الْمُنْكَرُ » هو ما
أنكره الشرع والعقل .. ورسولنا (ﷺ) يقول : (إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي
حَوَائِجِهِمْ ، هُمُ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ) ^(٢) .. ويقول (ﷺ) لِعَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : (يَا عَلِيُّ ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَعْرُوفَ ، وَخَلَقَ لَهُ أَهْلًا ،
فَحَبَّبَهُ إِلَيْهِمْ ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ فِعَالَهُ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ طُلَّابَهُ ، كَمَا وَجَّهَ الْمَاءَ فِي
الْأَرْضِ الْجَدْبَةَ لِتَحْيَا بِهِ ، وَيَحْيَا بِهِ أَهْلُهَا ، إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمُ أَهْلُ
الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ) ^(٣) .. وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة
أى أصحاب الشفاعة .. وأهل المعروف تجدهم لا يتوانون عن خدمة الناس ، وهم
يُؤَثِّرُونَهم على أنفسهم ، ويصلحون بينهم ، ويستهلكون وقتهم في إسعاد الآخرين ..
ولهذا خلقهم الله ، وساق إليهم طُلَّابَ المعروف ، وأجرى على أيديهم الخير ..

^(١) سورة الكهف آية ٩٥ . ^(٢) رواه أبو الشيخ في الثواب عن ابن عباس . ^(٣) رواه الحاكم عن علي (رضي الله عنه) .

وقد أمرت أمة محمد (ﷺ) بالمعروف ، فالرسول (ﷺ) يأمر بذلك في أحاديث كثيرة منها : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)^(١) .. (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٢) .. وسَتَرُ المسلم من المعروف ، فإذا رأيت مسلماً على مُنْكَرٍ فلا تفضحه ، وإن استطعت النصيحة فانصحه على ألا تكون نصيحتك في العلن ، فالنصيحة في العلن فضيحة .. ويُروى عن « الحسن والحسين » (رضى الله عنهما) أنهما وهما صغيران رأيا رجلاً لا يُحسن الوضوء ، فتحيرا : كيف يقولان له ذلك وهو كبير في السن ؟! .. فقال له أحدهما : إني وأخى مختلفان على الوضوء فهلاً راقبتنا - ونحن نتوضأ - لتحكم بيننا ؟! .. فتوضأ أمامه ، ففهم الرجل وقال لهما : (ما أعظم هذا الأدبَ وما أجملهُ !!) .. يتضح لنا من هذه القصة كيف يُسدى الإنسان المعروف والنصيحة ..

والمعروف لا يُؤخذ عليه أجر ، فعندما قالوا لـ « ذى القرنين » : (نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا)^(٣) و« الْخَرْجُ » : هو الأجر ، قال : (مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ)^(٤) .. وما من نبي ولا رسول إلا وقال : (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ

^(١) رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين .

^(٢) رواه البخارى ، كتاب المظالم والغصب .

^(٣) سورة الكهف آية ٩٤ .

^(٤) سورة الكهف آية ٩٥ .

الْعَلَمِينَ) (١) .. وكذلك الدعوة إلى الله وتعليم الدين لا يصح أن يؤخذ عليهما أجر - إلا أن يكون المرء معيّنًا لذلك - وتلك شيمة أهل المعروف .. فكلما استطعت أن تصنع معروفًا فاصنع ، لأن المعروف يوم القيامة له عَلمٌ - أى راية - فهلاًّ تخيلنا إذا أراد ربنا أن يرفع عَلمًا للناس كيف يكون شأنه ؟! .. وكيف يكون شأن هؤلاء الناس ؟! .. وفى حديث رسول الله (ﷺ) : (يَنِمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخْرَهُ (٢) ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ) (٣) وفى حديث آخر رَوَى : (أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى (٤) مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ) (٥) .. فالمعروف أمره يسيرٌ يمكن عمله بسهولة ، ولا يغفل الله عنه أبدًا .. ومن المعروف أيضًا إيصال صوت الضعيف إلى ذوى السلطة ، والتطوع بالخدمة ، والتطوع بإيجاد مصدر رزق لمحتاج ، والتوسط بين الناس ، والشفاعة لأصحاب الحاجات .. ويقول ربنا تبارك وتعالى : (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا) (٦) .. وكان الرسول (ﷺ) حين يَقْسِمُ الغنائم يقول : (إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِنٌ ، وَاللَّهُ يُعْطِي) (٧) .. وكان (ﷺ) إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ : (اشْفَعُوا (٨) تُؤْجَرُوا ،

(١) سورة الشعراء الآيات ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

(٢) أخره : أبعدته عن الطريق . (٣) رواه البخارى ، كتاب الأذان .

(٤) الثرى : التراب الرطب . (٥) رواه البخارى ، كتاب الوضوء .

(٦) سورة النساء آية ٨٥ . (٧) رواه البخارى ، كتاب فرض الخمس .

(٨) الشفاعة : التوسط فى إمضاء الأمر ، وقضاء الحوائج .

وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ (ﷺ) مَا شَاءَ (١) .. وكذلك إذا استطعت أن تردّ غيبة مسلم فافعل ، فإنه معروف .. وكلما استطعت ذكر أخيك بخير فافعل ، فإنه معروف .. واحذر - إذا كنت موظفاً وتأخذ أجراً على خدمة الناس وقضاء مصالحهم - أن تعرقلها ، وتشق عليهم فيشق الله عليك ..
ولتفعل - أيها الأخ المسلم - المعروف ولا تنتظر عليه أجراً : مادياً كان أو معنوياً ، حتى كلمة الشكر لا تنتظرها ، كي لا ينقص أجرك .. افعل المعروف وأنت تستشعر أن الناس الذين يأتون إليك ألبأهم الله إليك ، وجعل حوائجهم عندك ، ولو شاء لألجأك إليهم ، وجعل حاجتك عندهم .. فهذه نعمة تستحق الشكر ..

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :
أَنْ يَجْعَلَنَا جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ الْمَعْرُوفِ ..
وَأَنْ يُقَدِّرَ لَنَا الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ..
وَأَنْ يَجْعَلَنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ..
وَأَنْ يُجْرِيَ الْخَيْرَ عَلَى أَيْدِينَا ..
وَيَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..
وَأَنْ يَبْعَثَنَا آمِنِينَ مِنْ عَذَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .



(١) رواه البخارى ، كتاب الزكاة .

نور الوجه

١٧ (لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ يُصَلِّي !! .. إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ :

تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي .. وَكَفَّ شَهَوَاتِهِ عَنْ مَحَارِمِي .. وَلَمْ يُصِرَّ عَلَى
مَعْصِيَتِي .. وَآوَى الْغَرِيبَ .. كُلُّ ذَلِكَ ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِنَّ نُورَ وَجْهِهِ
لَأَضْوَأُ عِنْدِي مِنْ نُورِ الشَّمْسِ .. عَلَى أَنْ أَجْعَلَ الْجَهَالََةَ لَهُ عِلْمًا ،
وَالظُّلْمَةَ نُورًا .. يَدْعُونِي فَأُلَبِّيهِ ، وَيَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ ، وَيُقْسِمُ عَلَيَّ فَأُبرِّهُ ..
أَكَلُوهُ بِقُوَّتِي ، وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلَائِكَتِي .. مَثَلُهُ عِنْدِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ : لَا
يَتَسَنَّى ثَمَرُهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ حَالُهَا) ..

[رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

يبين الحديث أهمية الصلاة ، وليس فقط الصلاة ، وإنما الصلاة المقبولة .. فالله
سبحانه وتعالى يقول : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)^(١) ..
ولا يأتي لفظ الصلاة في القرآن بمفرده ، وإنما يأتي مقروناً مثل : (وَالْمُقِيمِينَ
الصَّلَاةَ)^(٢) .. (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)^(٣) .. (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ)^(٤) .. وهذا يعني أن الصلاة ليست مجرد حركات بلا روح ، لذا يقول

^(٣) سورة المؤمنون آية ٩ .

^(٢) سورة النساء آية ١٦٢ .

^(١) سورة الماعون الآيتان ٤ ، ٥ .

^(٤) سورة المؤمنون آية ٢ .

بعض الشيوخ في شأن الصلاة : إن تكبيرة الإحرام استئذان للوقوف بين يدي الله .. فإذا رفعت يديك بحذاء كتفيك وكان ذلك مصاحباً لقولك : (الله) فعليك أن تستشعرَ في هذه اللحظة أنك تطرح الدنيا خلف ظهرك ، لأنه لا شيء في الوجود إلا الله .. وعندما تخفض يديك بعد أن تُلقى الدنيا خلف ظهرك - ويكون ذلك مصاحباً لقولك : (أكبر) - عليك أن تستشعر أنك تخفض ذاتك ، ووجودك ، وكل موجود تواضعاً لعظمة الله تبارك وتعالى ..

ويُذكرُ أن أحد الفقهاء قال لأحد الزُّهاد مُمتَحِناً له : (حَدَّثَنِي عَنْ سَجُودِ السَّهْوِ ، وَكَيْفِ يُجْبَرُ السَّهْوُ فِي الصَّلَاةِ ؟) فأجابه الرجل قائلاً : (سَجُودِ السَّهْوِ يتم قبل التسليم إذا كان في الصلاة نقص ، ويتم بعد التسليم إذا كان في الصلاة زيادة ، وذلك مذهب الإمام مالك .. أما في مذهب أبي حنيفة فسجود السهو بعد التسليم على الإطلاق ، وعند الشافعية والحنابلة هو قبل التسليم على الإطلاق .. وسجود السهو يُجْبَرُ ما سها العبد عنه في صلاته إلا أنه لا يُجْبَرُ فرضاً أو رُكناً من أركان الصلاة ، وهو سجدتان) .. ثم قال الزَّاهد : (وَإِنْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ مَنْ سَهَا فِي صَلَاتِهِ وَجِبَ أَنْ يُجْلَدَ !!) ، فقال الفقيه : (كيف ؟ !) ، قال الزاهد : (كيف يسهو العبد وهو في حضرة مولاه ؟ !) ..

ويُروى أن سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) رأى رجلاً وهو يعبت بلحيته في الصلاة ، فقال : (لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ) .. لذا نجد في القرآن الكريم أوصافاً للمصلين ، مثل : (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ)^(١) .. (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ

(١) سورة النساء آية ١٦٢ .

هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ^(١) .. (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) ^(٢) .. (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) ^(٣) ..

فالصلاة ليست حركات تؤدي والمرء غافل أو مشغول بأمور الدنيا .. فقد نهى النبي (ﷺ) (نهى كراهة) عن صلاة المحتقن (الحابس لفضلاته) ، وصلاة الجائع ، والشاعر بالبرد أو الحر الشديدين ، لأن كل هذا يقدر في كمال الخشوع في الصلاة ، كما قال (ﷺ) : (إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، وَحَضَرَ الْعِشَاءُ ، فَأَبْدِءُوا بِالْعِشَاءِ) ^(٤) .. وهذا يوضح معنى قوله تعالى في الحديث القدسي : [لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ يُصَلِّي] ..

[إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ : تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي ، وَكَفَّ شَهَوَاتِهِ عَنْ مَحَارِمِي] .. التواضع لله بالصلاة أن تكون خالصة لوجهه ، وأن يعلم المرء أنها من فضل الله عليه ، وأنها نعمة تستحق الشكر ، وليست تفضلا من العبد يستحق الأجر .. وأن لا يتناول على غير المصلين بصلاته ، فلو شاء الله لهدى الناس جميعا .. كما أنه لا يستقيم أن يصلي المصلي ثم يأتي بالمعاصي ، ولا يتورع عن ذلك ، فرُبنا تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ^(٥) .. فإذا كانت الصلاة على الوجه الأكمل فإنها ولاشك تنهى عن الفحشاء والمنكر ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يقول إلا الصدق .. فإذا نهت الصلاة العبد عن الفحشاء

(١) سورة المؤمنون الآيتان ١ ، ٢ . (٢) سورة المؤمنون آية ٩ . (٣) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأطعمة . (٥) سورة العنكبوت آية ٤٥ .

والمنكر فصلاته صحيحة .. أما إذا لم يحدث فلا بد أن صلاته غير صحيحة وأنها خرجت عن كونها صلاة ، فأقوال الله تعالى لا يتطرق إليها الشك .. فهل معنى ذلك أن المصلي لا يخطئ أبداً؟! لا .. لا .. بل يُخطئ ويتوب ، لذا يقول الحديث : [وَلَمْ يُصِرَّ عَلَى مَعْصِيَتِي] فمن الممكن أن يقع المصلي في الخطيئة ، ولكنه لا يُصِرُّ عليها ، بل يسارع بالاستغفار : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)^(١) .. (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ)^(٢) ..

[وَاوَى الْغَرِيبَ] الغريب : كلمة تطلق على المسافر الذي لا يجد مأوى ، وتُطلق على الوحيد الذي لا أحد له من أهل البلدة فهو منها ولكنه غريب فيها كما جاء في قول النبي (ﷺ) : (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)^(٣) .. وهذا لا يعنى أن الغريب مسلم في بلاد كفر ، وإنما قد يكون مسلماً في بلاد مُسلمة لا تلتزم بتعاليم الإسلام ، فيشعر آنذاك بالغربة لكثرة المعاصي والفواحش من حوله فهو كالذي قال فيه رسول الله (ﷺ) : (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ)^(٤) ..

[كُلُّ ذَلِكَ] أى : كل ما ذُكِرَ ، يفعلُه العبد ابتغاء وجه الله ، وابتغاء مرضاته ..

^(١) سورة الأعراف آية ٢٠١ . ^(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٣٥ ، ١٣٦ . ^(٣) رواه مسلم ، كتاب الإيمان .

^(٤) رواه الترمذی ، كتاب الفتن .

[وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِنَّ نُورَ وَجْهِهِ لِأَضْوَأُ عِنْدِي مِنْ نُورِ الشَّمْسِ] : يقسم الله بعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ - وقسمه هذا عظيم تهتّر له السموات والأرض - على أن لوجه هذا العبد نوراً أشدّ ضوءاً من نور الشمس ، وهذا النور موجود فعلاً ولا يراه الناس ، وإنما يراه أهل الملائكة الأعلى .. وحين يُبعث يوم القيامة يكون له نور كذلك : (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) ^(١) ..

[عَلَى أَنْ أَجْعَلَ الْجَهَّالَةَ لَهُ عِلْماً] : وعد من الله تبارك وتعالى بتحويل جهل العبد التقى إلى علم .. وأشرف العلوم على الإطلاق هو العلم بالله تبارك وتعالى .. [وَالظُّلْمَةَ نُوراً] وعد آخر بأن يُنير الله طريقه ويسدد خطاه ، ويوفقه في كل أفعاله .. فكل ما يفعله هذا العبد يكون بنور الله .. [يَدْعُونِي فَأَلْبِيهِ] : أى حنان هذا ؟! .. [وَيَسْأَلْنِي فَأُعْطِيهِ] : يدعو فيُجاب .. ليس هذا فقط ! ولكن هناك مقام آخر ليس لكل الناس : [وَيُقْسِمُ عَلَى فِأَبْرُهُ] أى : لو أقسم على الله فى شىء لم يُوقِعْ يمينه بل جرّت الأحداث وفق ما أقسم عليه مصداقاً لقول الرسول (ﷺ) : (إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرُهُ) ^(٢) .. [أَكَلُوهُ بِقُوَّتِي] الكلاءة : الحفظ والعناية .. فهو محفوظ بحفظ الله له ، محاط بالعناية والرعاية .. [وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلَائِكَتِي] فلا يصيبه أذى أبداً إلا أن يشاء الله ، وتنصرف عنه الشياطين ، ويتلقى لَمَّات الخير من الملائكة فى ليله ونهاره ..

^(٢) رواه البخارى ، كتاب الصلح .

^(١) سورة الحديد آية ١٢ .

[مَثَلُهُ عِنْدِي كَمَثَلِ الْفَرْدَوْسِ : لَا يَتَسَنَّى ثَمَرُهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ حَالُهَا] « لَا

يَتَسَنَّى » : أى لا تؤثر فيه السنون .. ومعنى « لا يتغير حالها » : أى لا يتقهقر المصلى الموصوف فى الحديث ، أو يقل مقامه ، أو يضع منه النور أبداً ، بل هو فى رُقَى دائم ، وكل أمره صائر إلى خير كما قال النبى (ﷺ) : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ : إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)^(١) .. (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ^(٢) مِنَ الزَّرْعِ ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا^(٣) ، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأَ بِالْبَلَاءِ .. وَالْفَاجِرُ كَالْأَرْزَةِ^(٤) صَمَاءَ^(٥) مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ)^(٦) ..

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنا مِنْ مُقِمِّى الصَّلَاةِ ..

الْخَاشِعِينَ فى أَدَائِهَا .. وَالْمُحَافِظِينَ عَلَيْهَا ..

وَأَنْ يَجْعَلَها نُورًا لَنَا فى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .



(١) رواه مسلم ، كتاب الزهد . (٢) الخامة : الغضة الرطبة من النبات .

(٣) كفأتها : قلبتها . (٤) الأرزة : شجرة قوية عظيمة .

(٥) صماء : ثابتة لا تتمايل مع الريح . (٦) رواه البخارى ، كتاب المرضى .

الدعاء والرجاء

١٨ (يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ .. وَلَوْ أَتَيْتَنِي بِمِلءِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَقَبَيْتُكَ بِمِلءِ الْأَرْضِ مَغْفِرَةً مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا .. وَلَوْ بَلَغَتْ خَطَايَاكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي ، لَغَفَرْتُ لَكَ) ..

[رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)]

وقريب منه حديث قدسي آخر يقول :

١٩ (أَنَا أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ عَفْوًا مِنْ أَنْ أُسْتَرَّ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَفْضَحَهُ بَعْدَ أَنْ سَتَرْتَهُ .. وَلَا أَزَالُ أَغْفِرُ لِعَبْدِي مَا اسْتَغْفَرَنِي) ..

[رَوَاهُ الْحَكِيمُ عَنْ الْحَسَنِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مَرْسَلًا ، وَالْعُقَيْلِيُّ عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

وآخر يقول فيه رب العزة :

٢٠ (وَعِزَّتِي ، وَوَحْدَانِيَّتِي ، وَارْتِفَاعَ مَكَانِي ، وَاحْتِيَاجَ خَلْقِي إِلَيَّ ، وَاسْتَوَائِي عَلَى عَرْشِي ! إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِي وَأَمَتِي : يَشِيْبَانِ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ أُعَذِّبُهُمَا) ..

[رَوَاهُ الْخَلِيلِيُّ وَالرَّافِعِيُّ عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الأحاديث :

الحديث الأول : يتضح منه أهمية الاستغفار ، وللاستغفار صيغ كثيرة : منها ما أخبرنا النبي (ﷺ) عنه أنه سيد الاستغفار ألا وهو : (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)^(١) .. وعن عدد مرات الاستغفار نجد أن رسول الله (ﷺ) وهو المعصوم كان يستغفر في اليوم مائة مرة .. وكان يقول : (إِنَّهُ لِيُغَانُ^(٢) عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)^(٣) فكم نستغفر نحن ؟! .. وهناك صيغ أخرى للاستغفار وردت في القرآن منها : (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)^(٤)، وهذه هي الصيغة التي استغفر بها آدَمُ وحواءُ فغفر الله لهما ، وقالها أيضا بنو إسرائيل بعد ما اتخذوا العجل فغفر لهم كما حكى القرآن : (وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)^(٥) .. وكذلك حكى عن « يونس » قوله وهو في بطن الحوت : (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فقال تعالى : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ)^(٦) .. ومن الصيغ التي علمنا إياها الرسول (ﷺ) : (اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا

(١) رواه البخاري ، كتاب الدعوات . (٢) ليغان : المراد هنا ما يتغشى القلب من الغفلة عن ذكر الله .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء . (٤) سورة الأعراف آية ٢٣ . (٥) سورة الأعراف آية ١٤٩ .

(٦) سورة الأنبياء الآيتان ٨٧ ، ٨٨ .

كثيراً ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ^(١) .. ويستحب قول هذه الصيغة بعد قراءة التشهد الأخير ..

كما يستحب قول : (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ) .. ثلاثاً قبل النوم ، لقول النبي (ﷺ) : (مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ^(٢) ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا) ^(٣) ..

[يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ] : وهو خطاب عام لكل بني آدم ، وهذا مصداق قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) ^(٤) فالدعاء مطلوب ، وهو مخ العباد ، وإذا لم يدع العبد ربه غضب عليه ، وأوكله إلى نفسه ..

[وَلَوْ أَتَيْتَنِي بِمِلْءِ الْأَرْضِ خَطَايَا] : وبطبيعة الحال لا يمكن أن يأتي بملاء الأرض خطايا ، لأن عمره لن يسمح له بهذا - مهما بلغ من العتو والإجرام - ومع ذلك لو أن عبداً ملأت خطاياهم الأرض جميعاً لجاءه الله إن شاء بملاء الأرض مغفرة .. لماذا وكيف ؟! .. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا تضره المعاصي .. ومادام هذا شأنه فله أن يغفر ما شاء لِمَنْ يشاء .. ولهذه المغفرة شرط هام : [مَا لَمْ

^(٢) زبد البحر : الرغوة تعلو الماء عند اضطرابه .

^(١) رواه البخاري ، كتاب الأذان .

^(٤) سورة الزمر آية ٥٣ .

^(٣) رواه الترمذي ، كتاب الدعوات .

تُشْرِكُ بِي شَيْئًا] وهذا هو الأساس لأن الخطاب خاص بكل مَنْ شهد أن لا إله إلا الله من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة .. وهكذا فالخطاب لأهل التوحيد ، في كل مكان ، وكل زمان ، فشرط المغفرة عدم الشرك : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)^(١) .. ويقول الله تبارك وتعالى : (قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(٢) .. ومن الآيات التي تزيد الرجاء في قلوبنا قوله تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا)^(٣) فهذه آية لا تترك للمرء فرصة أن ييأس من رحمة الله أبدًا .. فاليأس من رحمة الله كفر .. وأعظم الذنوب على الإطلاق أن يستعظم العبد ذنبه على الله فيعتقد أن الله لا يمكن أن يغفره ..

[وَلَوْ بَلَغْتَ خَطَايَاكَ عَنَانَ السَّمَاءِ] : أى حتى لو تراكم بعضها فوق بعض ليس فقط بملء الأرض أفقيًا ، وإنما ارتفعت رأسيًا حتى بلغت عنان السماء - وبعُدُ السماء عن الأرض فوق الخيال والحساب - فحتى لو ارتفعت الخطايا بعد أن ملأت الأرض فبلغت عنان السماء ، فإنها كلها تُمَحَى بكلمة : (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ) .. فالنبي (ﷺ) فيما يحكي عن ربه - عَزَّ وَجَلَّ - يقول : (أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيُّ رَبٍّ اغْفِرَ لِي ذَنْبِي .. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. ثُمَّ عَادَ

(٣) سورة النساء آية ١١٠ .

(٢) سورة الزمر آية ٥٣ .

(١) سورة النساء آية ٤٨ .

فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا
 فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. اْعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ (١) ..
 ويُحدث رسول الله (ﷺ) صحابته فيقول : (أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا
 حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اسْحَقُونِي ، ثُمَّ
 اذْرُونِي (٢) فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللَّهِ لَنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لِيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا
 عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا .. قَالَ : فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ .. فَقَالَ لِلْأَرْضِ : أَدِّي مَا أَخَذْتَ .. فَإِذَا
 هُوَ قَائِمٌ .. فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : خَشِيتُكَ يَا رَبِّ - أَوْ
 قَالَ : مَخَافَتِكَ - فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ) (٣) ..

فالأمل في الله تبارك وتعالى لا بد أن يكون موجودًا .. وبغير الأمل في الله ،
 نموت كمدًا وحسرة من شدة الخوف ، فلو حاسبنا الله بالعدل هلكننا ، وإذا حاسبنا
 بالرحمة نجونا .. وبما أننا لا ننجو إلا بالرحمة ، فلا أمل إلا أن نطلبها آناء الليل
 وأطراف النهار ..

وفي الحديث الثاني :

[أَنَا أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ عَفْوًا مِنْ أَنْ أَسْتُرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَفْضَحَهُ بَعْدَ أَنْ
 سَتَرْتُهُ .. وَلَا أَزَالُ أَغْفِرُ لِعَبْدِي مَا اسْتَغْفَرَنِي] .

فعلامة المغفرة والتوبة الستر .. فإذا سترَكَ الله في الدنيا ، فثق تمامًا أنه لن
 يفضحك في الآخرة .. فسله الستر دائمًا .. وقد ورد في دعاء القنوت : (لَا

(١) رواه مسلم ، كتاب التوبة . (٢) اذروني : انثروني ، وفرقوني . (٣) رواه مسلم ، كتاب التوبة .

تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ وَلَا بَيْنَ يَدَيْكَ .. وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْكَ) ، وهذا يعنى أن الداعى يُقر بأنه عبد خطّاء ، يطلب من الله أن يستره ولا يفضحه .. ولكى يندوم الستر فى الدنيا فعلى العبد كلما أخطأ أن يستغفر .. إذ إن معنى الغفران أو المغفرة : ستر الذنوب ، فإذا قال العبد : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) دَخَلَ ضمن دعوته : (اللَّهُمَّ اسْتُرْنِي) لأن الله إذا غفر للعبد ذنباً ستره ، فإذا ستره عن عيون الناس ستره أيضاً عن الحَفَظَةِ وَالْكِتَابَةِ ثم محاه من الصحائف ، فإذا مُحِيَ الذنب من الصحائف وأصبح مكانه فارغاً مُلئاً بحسنات ، فلا تجد الملائكة أثراً للمحو .. ويقول الله تبارك وتعالى : (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) ^(١) .. وكذلك يُنسى الله الجوارح ما ارتكب العبد من معاصٍ فلا تشهد عليه يوم القيامة ، ولا يشعر بالخزى وهو بين يدى الله ، فيقف مطمئناً .. (لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ) ^(٢) .. (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ^(٣) فلا خوف مما هو آت ، ولا حزن على ما فات ..

أما الحديث الثالث : فيعطى الأمل والطمع فى رحمة الله ، فإذا نظر المسلم فى المرأة ورأى شيب رأسه اطمأن إلى رحمة الله ..

[وَعِزَّتِي ، وَوَحْدَانِيَّتِي] وأى قسم عظيم هذا !! فهو العزيز الذى لا يُقهر ، ووحدانيته أمر جليل ، فقد وُجدت الدنيا وقامت وكذلك الآخرة وبعثة الرسل من أجل هذه الكلمة فقط ..

^(١) سورة الفرقان آية ٧٠ .

^(٢) رواه أبو داود ، كتاب البيوع .

^(٣) سورة البقرة آية ٣٨ .

[وارْتِفَاع مَكَانِي] : وهذا قَسَم لا يمكن أن يبلغ الإنسان بعقله إدراكَ معناه ..

فالله تبارك وتعالى كان قبل المكان والزمان ، وهو الآن على ما عليه كان ، فإذا قال :

[وارْتِفَاع مَكَانِي] فلا حدود هناك .. [وَاَحْتِيَاج خَلْقِي إِلَيَّ] فما من خلجة من

خلجات النَّفْس ، ولا حركة من حركات الجسد إلا ويحتاج فيها العبد إلى الله ،

لولا ما فتح عينيه وأغمضهما .. بل هذا النَّفْسُ الذي يدخل الصدر ويخرج بلا إرادة

من العبد ، ودقات القلب ، وكرات الدم بأنواعها ، والهرمونات ، والأنزيمات ،

والدورة الدموية ، وعمل الأعضاء والأعصاب والعضلات .. كل هذا وغيره ..

العبد فيه محتاجٌ إلى الله عز وجل .. وهناك الكثير مما لا يُحصى عدداً ولا ذكراً يؤكد

هذه الحقيقة ..

ثم يُقسم ربنا بشيء عظيم : [واستَوَائِي عَلَى عَرْشِي] وهو أمر لا نعلمه ،

لأن الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه

بدعة ، فهو استواء لا ينافي وصف الكبرياء ، استواء مُنَزَّه عن المماسَّة والاستقرار ..

استواء لا يعلمه إلا الله ..

[إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنْ عَبْدِي وَأَمْتِي : يَشِيْبَانِ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ أُعَذَّبُهُمَا] : أفلا

يحب المرء أن يشيب في الإسلام؟! وإذا شاب أفلا يكون فخوراً بشيبه؟! وهناك بين

السطور أمر!! ألا وهُوَ : أنه إذا كان ربُّك وسيِّدك ومولاك يستحي أن يعذبك -

وقد شبتَ في الإسلام - أفلا تستحي أنت - أيها العبد الشائب - أن تعصى هذا

الرب وتكون معيباً؟!.. فدع عنك المعاصي والخطايا والرعونة فهي أمور لا تليق بك ،

وعليك بالطاعة واللجوء إلى الله حتى يُحبِّكَ .. وتذكر أنك كثيراً ما أحببت ، وكل

حُبُّ له نهاية ، وحُبُّ الله لا نهاية له .. وكل حبيب يخطئ مرة ويصيب أخرى ، وربنا لا يخطئ معك أبداً .. وكل حبيب لابد أن يتحول عنك إلى آخر ، أما الله فإذا أَحَبَّك فلن يشغله عنك سواك ، لأنه لا يشغله أحد عن أحد ، ولا يشغله شأن عن شأن .. ومهما أَحَبَّبت فالحب فيه الغرض ، وحُبُّ الله مُنَزَّهٌ عن الغرض ، لأنك لا تنفع ولا تضر ، فمهما أَحَبَّبت وارتفع حُبُّك وسَمَا وعظم فالحبيب الذى تُحِبُّه لن يصل حُبُّه إلى حُبِّك ، وإذا وصل فلن يتعدى حُبُّك ، وإذا تعدى حُبُّك فلن يتعدى الطاقة ، فطاقته فى الحُبِّ محدودة ، أما الله سبحانه وتعالى فهو غير مُتَنَاهٍ ، وبالتالي فحُبُّه لا يتناهى ، فإذا كان الحبُّ لا نهاية له ، فكيف شأنه ، وكيف يكون ؟! .. وحيبك إذا ذكرته ذكرك ، وإذا نسيتك نسيك .. أما الله سبحانه وتعالى فإذا ذكرته ذكرك ، وإذا نسيتك أيضاً بنص الحديث : (يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّ ذَكَرْتَنِي ذَكَرْتُكَ ، وَإِنْ نَسِيتَنِي ذَكَرْتُكَ) ^(١) فأين تجد حبيبا مثله ؟! .. وحُبُّ الله أمر يسير جداً ، وحُبُّ الناس أمر صعب المنال ، فلكى تجعل شخصاً ما يُحِبُّك ، فهذا أمر صعب ، لأنه يمتحنك ويختبرك ويحاسبك على الصغيرة والكبيرة ، وإذا أحسنت إليه طول العمر ثم أخطأت معه مرة واحدة ، عيرَكَ بها وذكرك إياها ، حتى الزوجة وهى أقرب الناس إليك ، فمع العشرة والحُبِّ وما بينك وبينها من رباط مُقَدَّس ، تحسن إليها الدهر كله ، فإذا أسأت إليها مرة قالت : (مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ !!) ^(٢) ..

هكذا أخبرنا رسول الله (ﷺ) !! ولكن الله سبحانه وتعالى يذكر لك الطيب ،

^(١) رواه أبو نصر ربيعة بن علي العجلي في كتاب هدم الاعتزال ، والرافعي عن ابن عباس (رضى الله عنهما) .

^(٢) رواه البخارى ، كتاب الإيمان .

ويمحو عنك الخطايا ، وحبُّه لك أكبر من أن يُوصف ، وأعظم من أن يعبر عنه لسان ،
ومهما تحدثنا عنه فلن نبلغ إيضاح مقداره .. ومن ذاق عرف ، ومن حُرِّم انحرَف ..

اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ظُلْمًا كَثِيرًا ..
وإن لم تَغْفِرْ لنا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ..
اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّكَ .. وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ..
وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ .



الحكم على الآخرين

كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ : أَقْصِرْ .. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ : أَقْصِرْ ، فَقَالَ : خَلَّنِي وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟! .. فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ - أَوْ : لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ - فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .. فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ :

﴿ ٢١ ﴾ (أَكُنْتُ بِي عَالِمًا ، أَوْ كُنْتُ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا ؟! ..)
وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي .. وَقَالَ لِلْآخَرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ) ..

[رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

الحديث يلفت النظر إلى ما يقع فيه الكثير من الناس ، فهو يحكى عن رجلين في بنى إسرائيل متواخين .. ومتواخين أصلها « متآخيان » أى : متصادقان ، كان أحدهما مذنباً عاصياً ، وكان الآخر مجتهداً في العبادة .. وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول : أقصر ، أى : امتنع .. فراه يوماً على ذنب فقال له - كالمعتاد - : أقصر ، فضجر الآخر منه ، ومن إلحاحه عليه ، فقال : [خَلَّنِي وَرَبِّي] : أى خل بيني وبين نصحك ، واطركنى لربى لعله يريد بى أمراً ، فحسابى على الله ، أَبْعَثَ

على رقيقاً؟! .. أكنت محاسباً لى من دون الله فتسألنى : لِمَ فعلت ، وَلِمَ لا تفعل؟! .. فلم يقتنع صديقه بهذا وقال : [وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ] فتألى بهذا على الله ، وأصدر قراره بأن الله لن يغفر لأخيه أبداً ، أو بأنه لن يدخله الجنة ..

ولما انتهت حياتهما وماتا ، اجتمعا عند رب العالمين فقال الله للمجتهد الواعظ : [أَكُنْتَ بِي عَالِماً] تعرف مَا سَأَفْعَلُ ، أسأغفر أم أعذب؟! .. [أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِراً؟!] أى : حين قلت ما قلت ، أكنت تعلم الغيب؟! أم كنت تملك خزائن ومفاتيح الرحمة تفتح لمن تشاء ، وتغلق فى وجه من تشاء؟! .. فأخلف الله ظنه ، وقال للمذنب : [اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي] ، وقال للآخر المجتهد فى العبادة : [اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ] ..

ما سبق هو شرح معانى الحديث ، إلا أن هناك أموراً هامة نستخلصها من الحديث وهى :

أولاً : أن العبرة بالخواتيم ، لأن الإنسان لا يدرى ما سبق به الكتاب ، فعليه ألاَّ يطمئن لعمله أبداً ، لأنه لا يعلم كيف يختتم له وعلى أى حال يموت ..

ثانياً : أن المجتهد فى العبادة إذا وعظ فلا بد أن يدعو للمعروف وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا يتألى على الله ، ولا يتحكم فى الخلائق كيف يشاء فيكفر هذا ، ويحكم على ذاك بالفسوق ، فالأمر كله لله .. وإذا كان سيد الخلق (ﷺ) قال له الله : (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) ^(١) .. (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ) ^(٢) ..

^(٢) سورة الأنعام آية ١٠٤ .

^(١) سورة الغاشية آية ٢٢ .

(وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) ^(١) .. (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) ^(٢) .. (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ
الْإِنْسَانَ أُمَّةً وَاحِدَةً) ^(٣) .. (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ الْإِنْسَانَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ^(٤) ..
(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ^(٥) ..

فمن الأولي - وهذا حال رسول الله (ﷺ) - أن لا يفصح أصحاب الطاعات
غيرهم إذا رأوهم على معصية .. فإذا نصحتَ فليكن ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة :
فإذا استجاب العاصي كان خيرًا ، وإن لم يفعل فلتدع له بالهداية وصلاح الحال ..
وبدلاً من أن تُيُؤَسَّه من رحمة الله ، عليك أن تفتح له أبواب الأمل ..

ثالثاً : يتضح من الحديث أيضاً أن العبد - مهما كانت ذنوبه - إن تاب - ولو
قبل موته بلحظات ، أو قبل أن تصل الروح إلى حلقه ويغرغر - قُبِلَتْ توبته !! فمن
أين لهذا المتألى على الله أن يحلف بأنه لن يُعْفِرَ لأخيه ؟! فعليك بالنصح ، فمن أطاع
فخير ، ومن لم يفعل فلا حكم ولا سلطان لك عليه ، فالرسول (ﷺ) وهو المُكَلَّف
بالرسالة يقول الله تعالى له : (إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) ^(٦) ..

ونذكر في هذا المجال حديث رسول الله (ﷺ) الذى يقول فيه : (كَانَ فِيمَنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَدُلَّ
عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ :
لَا ، فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً .. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ

^(٣) سورة هود آية ١١٨ .

^(٢) سورة ق آية ٤٥ .

^(١) سورة الأنعام آية ١٠٧ .

^(٦) سورة فاطر آية ٢٣ .

^(٥) سورة يونس آية ١٠٠ .

^(٤) سورة يونس آية ٩٩ .

عَالِمٍ ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ !! انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذًا وَكَذًا ، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ ، فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ .. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ .. فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بقلبه إِلَى اللَّهِ .. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ .. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ^(١) ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ .. فَقَاسُوهُ ، فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ^(٢) .. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : (فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ .. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْ هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْ هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي ، وَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا ، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ ، فَغُفِرَ لَهُ) ^(٣) ..

وهناك حكاية يرويها الشيوخ عن أخوين أحدهما عابد أمضى عمره كله في العبادة في صومعته بأعلى الجبل ، والآخر أمضى عمره كله في المعصية .. فهذا في الجبل يعبد ربه في صومعته مدة ستين سنة ، وذاك في البلدة يعصى ربه ستين سنة .. وفي يوم من الأيام ، حَدَّثَتِ الذِي فِي الْجَبَلِ نَفْسُهُ بِأَنَّهُ قَضَى سِتِينَ عَامًا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، فَلَمْ لَا يَهْبِطُ وَيَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ النَّاسُ وَيَفْعَلُ مِثْلَ أَخِيهِ ؟! فَهَذَا أَخُوهُ يَعْصِي

^(٢) رواه مسلم ، كتاب التوبة .

^(١) أى فجعلوه حَكَمًا بينهم .

^(٣) رواه البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء .

وما أصابه شيء .. فنزل .. وفي اللحظة نفسها حدثت الآخر نفسه ، أنه قد مضى عليه ستون عاماً في المعصية ، وقد مرّ من العمر الكثير ، فلماذا لا يطيع الله مثل أخيه الذي أطاع الله ستين عاماً لم يفعل فيها سوءاً ، لم لا يصعد إلى الجبل ويجرب الطاعة ولو يوماً واحداً؟! .. فصعد .. وبينما هذا صاعد وذاك هابط ، وقبل أن يصل كل منهما إلى هدفه مات .. فالراهب الذي عبد الله ستين عاماً دخل النار ، والعاصي الذي عصى الله ستين عاماً دخل الجنة لأن العبرة بخواتيم الأعمال ، والأعمال بالنيات ..

وهذه القصة أيضاً يتضح منها أن الإنسان لا يعلم ما في الغد لا بالنسبة إليه ولا بالنسبة إلى غيره ..

وقد مات « عَثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ » وهو من أوائل السابقين المهاجرين عند رجل من الأنصار كان قد استضافه فذهب إليه رسول الله (ﷺ) ، وعندما دخل عليه سمع زوجة المضيف تقول : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أبا السَّائِبِ ، فَشَهِدَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ .. فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟! فَقَالَتْ : بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟! فَقَالَ : أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي!! قَالَتْ : فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا ^(١) .. لذا قال النبي (ﷺ) : (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ : أَحْسِبْ فُلَانًا ، وَاللَّهُ حَسِيْبُهُ ^(٢) ، وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا ، أَحْسِبُهُ كَذَا

^(١) رواه البخاري ، كتاب الجنائز .

^(٢) حسيه : عليم بحاله .

وَكَذَآ .. إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ ^(١) .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ^(٢) .. وقال عن أهل الكتاب - منكرًا عليهم مقولتهم - : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُوَ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) ^(٣) ..

فإذا كنت على درجة من الصلاح أو التقوى أو الطاعة فاعلم أن ذلك من فضل الله عليك ، وإذا رأيت الآخر على الذنب فاعلم أن الله تبارك وتعالى لم يشأ له التوبة بعد ، وقد يقبل منه التوبة بعد ذلك ، وقد يختم له بالإيمان وصلاح الأعمال - فنحن لا ندرى ما كتب لنا من الأزل ، ولكن علينا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد يتساءل الطائع : كيف يستوى هو والعاصي ؟! .. فليعلم أن العاصي الذي يتوب الله عليه إذا دخل الجنة فهو لا بد في منزلة أدنى من منزلة ذلك الذي نشأ في طاعة الله : فهذا في سبعة يظلمهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه ، ويبيعه الله آمناً .. أما هذا الذي تاب الله عليه فقد يُبعث خائفاً ، فيبينهما فرق ، ولكن كلاهما يدخل الجنة ، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قوله : (تَجُوزُونَ الصِّرَاطَ بِعَفْوِ اللَّهِ ، وَتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَتَقْتَسِمُونَ الْمَنَازِلَ بِأَعْمَالِكُمْ) ^(٤) فالفاضل في درجات الجنة يكون بحسب الأعمال .. فلا نُزِّلْ أَنْفُسَنَا

(١) رواه البخارى ، كتاب الشهادات . (٢) سورة النساء آية ٤٩ . (٣) سورة المائدة آية ١٨ .

(٤) كتاب الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطى .

أبدًا ولا تتألَّ على الله ولتذكر قوله : (كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بِلِلَّهِ عَلَيْهِكُمْ) ^(١) .. و« بلقيس » كانت كافرة هي وقومها ، وعنهما يقول « الّهْدُود » كما حكى القرآن : (وَجَدْتُهُا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) ^(٢) .. أى إنهم كفروا وعموا عن الحق .. ومع ذلك أسلمت وقالت : (إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ^(٣) كذلك « خالد بن الوليد » فقد كان قائد المشركين فى غزوة أُحُد وكان سببًا فى هزيمة المسلمين ، ومع ذلك أسلم وأصبح سيف الله المسلول .. فلا يعلم أحد ما فى الغد ..

فعلينا أن نَسْأَلَ اللهَ تبارك وتعالى حُسْنَ الْخِتَامِ ..
ولا نَعْتَزُّ عَلَى أَحَدٍ .. وَنَدْعُ الْخَلْقَ لِلْخَالِقِ ..
فلا نُكَلِّفُهُمْ مَا لا يُطِيقُونَ ..
ولا نُحَاسِبُهُمْ دُونَ رَبِّهِمْ ..



^(٣) سورة النمل آية ٤٤ .

^(٢) سورة النمل آية ٢٤ .

^(١) سورة النساء آية ٩٤ .

ذِكْرُ اللَّهِ

٢٢ (يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ : مَنْ ذَكَرَنِي

يَوْمًا ، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ) ..

[رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

وهناك أحاديث قدسية أخرى في الذكر ، منها :

٢٣ (مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي .. وَمَنْ ذَكَرَنِي

فِي مَلَأٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ أَكْثَرَ مِنْهُ وَأَطْيَبَ) ..

[رَوَاهُ ابْنُ شَاهِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

٢٤ (مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي ، أُعْطِيَتْهُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي) ..

[رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ ، وَالدَّيْلَمِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

٢٥ (مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي ، أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَتْ

السَّائِلِينَ) ..

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)]

٢٦ (مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي ، أُعْطِيَتْهُ

ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ) ..

[رَوَاهُ ابْنُ حُذَيْفَةَ شَاهِينَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الأحاديث :

[أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ : مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا ، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ] : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ !! قَالَ : (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (١) .. ويقول (عليه السلام) : (مَا عَمِلَ آدَمِيُّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .. قِيلَ : وَلَا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ ، إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ) (٢) .. ويقول (عليه السلام) : (أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟! قَالُوا : بَلَى .. قَالَ : ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى) (٣) .. ويقول (عليه السلام) : (أَسْعِدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ) (٤) ..

والآيات في كتاب الله عن ذكره تعالى كثيرة ، منها : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ۖ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) (٥) ..

وذكر الله تبارك وتعالى يكون بالقلب ، ويكون أيضًا باللسان ، فهناك مَنْ يذكر الله بقلبه ، وهناك مَنْ يذكر الله تبارك وتعالى على كل أحواله ..

(١) رواه الترمذی ، كتاب الدعوات .
(٢) رواه الطبرانی فی المعجم الكبير .

(٣) رواه الترمذی ، كتاب الدعوات .
(٤) رواه البخاری ، كتاب العلم .

(٥) سورة فاطر الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

وقالت السيدة عائشة (رضى الله عنها) : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ)^(١) .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ)^(٢) ..

وإذا تتبعنا نصائح رسول الله ﷺ وجدنا أن العبد لو عمل بها لظل يذكر الله في كل وقت وحين حتى وإن كان جنباً .. والجنب يُمنع من قراءة القرآن ، ومس المصحف ، ولا يُمنع من قول : لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبى الله ونعم الوكيل ، وما إلى ذلك من الأذكار ..

فإذا استيقظ العبد من نومه فليقل كما علمنا النبي ﷺ : (أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ ، اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، فَلكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ) .. وإذا أمسى العبد من ليله فليقل : (أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ ، اللَّهُمَّ مَا أَمْسَى بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، فَلكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ)^(٣) .. وإذا جلس لطعامه فليقل : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، وإذا انتهى فليقل : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا ، وَسَقَانَا ، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ)^(٤) ، (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ)^(٥) ..

وإذا نعم العبد بالدفع فليقل : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي)^(٦) ..

(١) رواه البخاري ، كتاب الأذان . (٢) سورة النساء آية ١٠٣ . (٣) رواه مسلم وأبو داود . (٤) رواه ابن ماجه ، كتاب الأطعمة . (٥) رواه الترمذی ، كتاب الدعوات . (٦) رواه مسلم ، كتاب الذكر .

وإذا لبس جديداً فليقل : (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ) (١) ..

وإذا ركب العبد فليقل : (الْحَمْدُ لِلَّهِ ، سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ
مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) (٢) ..

وإذا أراد أن يجامع زوجته فليقل : (بِاسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبِي الشَّيْطَانَ ،
وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا) (٣) .. فإذا نام فليقل : (بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنِّبِي
وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَأَرْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ
عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) (٤) ، (اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ،
وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا
مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) (٥) ..
وإذا قام من مجلسٍ قال : (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) (٦) ..

وإذا دخل مكاناً أو خرج من مكان قال : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْجِ ،
وَأَخَيْرَ الْمَخْرَجِ ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا ، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا ، وَعَلَى اللَّهِ رَبَّنَا تَوَكَّلْنَا) (٧) ..
وإذا خرج من بيته قال : (بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ) فيقالُ لَهُ : كُفَيْتَ ، وَوُقِيتَ ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ (٨) .. وقال : (اللَّهُمَّ

(١) رواه الترمذی کتاب اللباس . (٢) رواه الترمذی کتاب الدعوات . (٣) رواه البخاری کتاب النکاح .

(٤) رواه البخاری کتاب الدعوات . (٥) رواه البخاری کتاب الدعوات . (٦) رواه الترمذی کتاب الدعوات .

(٧) رواه أبو داود کتاب الأدب . (٨) رواه الترمذی کتاب الدعوات .

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ (١) ..

وفي الدخول لقضاء الحاجة يقول : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ) (٢) ، فإذا خرج قال : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي مَا يُؤْذِينِي ، وَأَمْسَكَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُنِي) (٣) ..

كل هذا عَلَّمَنَا إياه رسول الله (ﷺ) ، فهو يذكر الله في كل الأحوال : إذا أكل أو شرب .. نام أو أصبح .. قعد أو قام .. مشى أو ركب .. حتى في الحرب كذلك .. وربنا تبارك وتعالى يقول في شأن الحرب : (يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٤) .. والقتال على عهد الرسول (ﷺ) كان بالسيف والالتحام وجهًا لوجه ، فتطير الرقاب ، وتقطع الأعضاء ، وتسيل الدماء .. فإذا غفل المقاتل لحظة فقد حياته .. وعلى رغم هذا يأمرنا ربنا تبارك وتعالى بالذكر في حال القتال .. فذكر الله سبحانه وتعالى يأتي بالنصر في المعارك ..

والذكر أنواع : منها ما ذكرنا سالفًا ، وهو الوارد عن رسول الله (ﷺ) في كل أحواله ، وهناك نوع آخر من الذكر ، وهو ذكر القلب ، وهو لأناس معينين ألا وهم المتفكرون ، فهؤلاء إذا رأى أحدهم شيئًا ترجم هذه الرؤية إلى شيء في قلبه ، وفيهم يقول الله سبحانه وتعالى : (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (٥) .. فإذا رأى أحدهم شخصًا

(١) رواه أبو داود ، كتاب الأدب . (٢) رواه البخاري ، كتاب الوضوء . (٣) رواه ابن أبي شيبة كتاب الدعاء .

(٤) سورة الأنفال آية ٤٥ . (٥) سورة آل عمران آية ١٩١ .

مريضاً أو به آفة أو عاهة ذَكَرَ ما أمر به رسول الله ﷺ فقال : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً)^(١) .. وذكر القلب يُشعر المرء بفضل الله عليه ، حين يتفكر في ابتلاء الله الأصحاء بالمرضى ، والأغنياء بالفقراء ، وأصحاب الحرية الطلقاء بالمحبوسين .. وهكذا ..

وإذا رأى الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وإذا رأى كيف يدبر الله أمور كل الخلائق ، قال من قلبه : (سبحان مدبر الأكوان !) .. فهذا الطائر الصغير يحمل في فيه قشّةً ليبنى عُشّاً له ، فَمَنْ علّمه بناء هذا العُشِّ ؟! وَمَنْ علّمه عدد القش اللازم لبنائه ؟! ..

وهذا الهُدُودُ ، ينقر الأرض بمنقاره فلا يخرجها إلا وقد أمسك بدودة من دود الأرض فيطير بها إلى أفراخه ليطعمهم ، ثم يعيد الكرة ولا يخطيء ، وكأنا هو يرى ما في باطن الأرض ..

ولو ترى الهِرّة إذا وَلَدَتْ ، كيف تقوم بنفسها بما تتطلبه الولادة ، فتلعق أولادها لتنظفهم .. ولو تراها وهي تعلّم صغيرها صعود السلم فتصعد درجة وتترك الصغير يصرخ فلا تجيبه حتى يحاول الصعود ، فيقع ثم يحاول مرات حتى ينجح ..

وإذا رأيت العُصْفُورَ وهي تعلّم فرخها كيف يطير ، تجدها تحمل صغيرها إلى مكان ليس بفضاء بل به جدران وأشجار ، فتتركه على الأرض ، فيصرخ ولا تجيبه إلا بصوت معناه : أقبل ، فيقفز الفرخ قفزة صغيرة ينتقل بها إلى مكان الأم ، فتبعد عنه قليلاً ، ويتكرر الموقف حتى يتعلم الفرخ الطيران .. أمور غاية في الغرابة فلا

^(١) رواه الترمذی ، کتاب الدعوات .

تتركها تمرُّ دون تأمل ..

ولو ترى أمواج البحر تتوالى على الشاطئ وتعود .. هذه الحركة لا تنتهى ..
أتراها حركة عبثية أم إنها بحساب ؟! .. المدّ والجزر يحدثان ، فلو تفكرت فى أمر
قطرة ماء ، بقيت من الموج على الرمل ، والباقي رجع مع ما رجع من الماء .. هذه
القطرة لو تفكرت فى أصلها ، وكيف وصلت ، ومن أيّ البقاع أتت ، لعجبت !! ..
وإذا وضع الطعام أمامك ، فقد تمدّ يدك إلى قطعة منه فلا تأخذها ، بل تأخذ
أخرى .. لماذا ؟! لأن هذه لك .. أمّا تلك فليست لك .. فما من طعام فى الأرض
أو رزق إلا وكتب على كل حبة وكل ورقة منه اسمُ آكلها .. وأحيانًا تأكل فى إناء
واحد مع شخص ما فتنظر إلى بعض الطعام وتمد يدك لتأخذه فيسبقك هو إليه ، نعم
لم يكن مكتوبًا لك .. لابد أن تتفكر فى هذه الأمور ..

أنت ترتدى القميص فهلا تفكرت كيف جاءك وآل إليك ؟! وكم يدًا عملت
فيه حتى تلبسه ! .. فهناك مَنْ زرع ، وَمَنْ روى ، وَمَنْ حصد ، وَمَنْ جمع ، وَمَنْ باع ،
وَمَنْ اشترى ، وَمَنْ حلج !! .. وهناك المصنع الذى غزل هذه الخيوط ، ثم ذاك الذى
نسج قماشه ، ثم هناك الذى باع مرة أخرى ، ثم تنقل القماش من يد إلى يد حتى
وصل إلى يد مَنْ قصّه ، ثم مَنْ حاكه .. فإذا ذهبت إلى المتجر وفيه مئات القمصان
وقلت للبائع : ناولني هذا القميص .. فهل تراك أنت الذى اخترته ؟ أم إنه حيث زرع
كان مزروعًا من أجلك ، وكتب عليه اسمك ؟! .. فلا تجعل هذه الأمور تفوتك ..
فإن كان قلبك مع الله بصفة مستمرة قلت فى نفسك : (مَشِينَاهَا خُطِيَّ كُتِبَتْ
عَلَيْنَا .. وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطِيَّ مَشَاهَا) فحتى الخطوات مكتوبة لك محسوبة عليك ..

ويبقى لكل من يسمع أو يرى أو يقرأ هذه الأمور قول الرسول (ﷺ) : (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَنْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، فَيَكْتُبُ : عَمَلُهُ ، وَأَجَلُهُ ، وَرِزْقُهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ .. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُ النَّارَ) ^(١) .. « الأجل » و« الرزق » يدخل فيهما كل أمر دنيوى : من مسكن ، وملبس ، ومأكل ، ومال ، وكل عطاء دنيوى .. أما الثالث فهو « أثره » وهو يعنى كل نفس يتنفسه ، وكل خطوة يخطوها .. ألا يحدث لأحدنا أن يجيد عن قصده فى سيره ؟! .. ألا يحدث أن تمر فى طريق إلى غاية لك ثم تؤثر السير فى غيره ؟! .. ألا يحدث أن تتركب سيارة أجرة فتطلب من السائق الذهاب إلى مكان ما ، فيكون معه راكب آخر سيذهب به إلى مكان آخر فتوافق ، فتجد نفسك فى منطقة لم تكن تفكر فيها ولم تقصدها ؟! .. أما الأمر الرابع : أى « أشقى هو أم سعيد » فهو أمر الآخرة الذى لا يعلمه إلا الله : (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) ^(٢) .. (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) ^(٣) ..

فماذابقى للإنسان بعد هذه الأربعة ؟! لم يبق إلا النية الصالحة ، وذكر الله عز

^(١) رواه البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء . ^(٢) سورة هود آية ١٠٦ . ^(٣) سورة هود آية ١٠٨ .

وجل واللجوء إليه في كل وقت وحين .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (أَلَا لَهُ
الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)^(١) ..

اللهم لا تُؤمِّنَّا مَكَرَكَ .. ولا تُؤَلِّنا غَيْرَكَ ..
ولا تَرْفَعْ عَنَّا شَرَكَ .. ولا تُنْسِنَا ذِكْرَكَ ..
ولا تَجْعَلْنَا مِنَ الْغَافِلِينَ ..



^(١) سورة الأعراف آية ٥٤ .

الظن بالله

٢٧ (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ) ..

[رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ عَنْ وَائِلَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

٢٨ (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي) ..

[رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

٢٩ (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي : فَإِنْ

ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي .. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ) ..

[رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

٣٠ (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي : إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ

شَرًّا فَلَهُ) ..

[رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ التَّجَرِّاجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

٣١ (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي) ..

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

٣٢ (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي : إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ ظَنَّ

شَرًّا فَشَرٌّ) ..

[رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ حِبَّانٍ عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

وقال الرسول (ﷺ) : (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) .. [رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)]

شرح الأحاديث :

الظن له أربعة معانٍ في القرآن :

(١) اليقين . (٢) الشك . (٣) الاعتقاد . (٤) الاتِّهام .

اليقين : (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ) ^(١) ..

الشك : (إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ) ^(٢) ..

الاعتقاد : (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ) ^(٣) ..

الاتِّهام : (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) ^(٤) ..

[أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَلْيُظَنِّ بِي مَا شَاءَ] : هذا حديث جامع فالله تبارك

وتعالى يقول : سوف أكون للعبد كما اعتقد بي ، أو ظن بي .. فعندما تقترب إلى

الله بالعبادة يُدَاخِلُكَ الشكُّ في قبولها ، فإذا كنت متيقناً بقول الله : (وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) ^(٥) حظيت بالقبول .. وإذا

دعوت الله موقناً بالإجابة استجاب الله لك ، وإن ظننت أن الله لا يستجيب فلن

يستجيب لك .. يقول الرسول (ﷺ) (إِذَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ فَأَعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ ، وَلَا

يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي .. فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ) ^(٦) .. وشرح

^(٣) سورة فصلت آية ٢٢ .

^(٢) سورة الجاثية آية ٣٢ .

^(١) سورة الحاقة آية ٢٠ .

^(٦) رواه البخاري ، كتاب التوحيد .

^(٥) سورة البقرة آية ١٤٣ .

^(٤) سورة الأحزاب آية ١٠ .

حديث رسول الله (ﷺ) : [لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ] : أى إذا حضر الإنسان الموتُ فليحسن الظن بالله ، لأن مَنْ أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، وَمَنْ كره لقاء الله كره الله لقاءه .. فكيف نموت ونحن نحسن الظن بالله ، وكلنا يكره الموت ويخافه ؟! ..

يتطلب الأمر معرفة الله .. فربنا لا يجب عليه شىء ، وليس فوقه أحد ، وهو يخلق ما يشاء ويختار ، وله أن يفعل ما يشاء .. فالله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر ، فإذا كان الأمر كذلك ، فلا تكن فى قلق حتى لا يتركك الله قلقاً ، وكن على يقين بأن الله لا يَعْظُمُ عليه شىء ، فثق وتيقن : بأن الاستغفار يمحو الذنوب ، لأن الله صادق الوعد ولا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية .. وبأن الله أعد لعباده الصالحين ما لا عَيْن رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ..

والموت يجعل الإنسان على وجل ، وقد يتسلط الخوف عليه ويجعله يهلك ، فالإنسان فى سعيه إلى الله له جناحان : جناح الخوف ، وجناح الرجاء : (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا) ^(١) فلو زادت قوة جناح الخوف لاعوجَّ ووقع .. ولو رجا فقط لم يجتهد فى العبادة .. فالخوف الزائد يجعله يائساً ، والرجاء الزائد يهلكه ، حيث يغفل عن ذنوبه ويطمئن لطاعته ..

وعليك ألا تخاف الموت فالانتقال من الدنيا إلى البرزخ لا يخيف ، فهو كالانتقال من رحم الأم إلى الدنيا ، الذى يخيف هو المعاصى والذنوب ..
فإن وقعنا فى معصية فلنسارع بالاستغفار متيقنين بأن الله غفور رحيم ..

(١) سورة الأعراف آية ٥٦ .

وللوصول إلى حسن الظن بالله علينا أن نعلم :

١ - أن الله لا يجب عليه شيء .

٢ - أن وعد الله صادق .

٣ - أن الله يغفر الذنوب جميعاً غير الشرك .

٤ - أن الحياة مستمرة ، وأنت في مراحل تطور من أرحى إلى أرحى ، ومن

أرقى إلى أرقى : فقد كنت فى صلب أهلك ، فانتقلت إلى رحم أمك وهو

أوسع .. ثم خرجت إلى الدنيا وهى أرحب .. ثم تنتقل إلى البرزخ ولا شك

أنه أوسع وأعظم ، ثم إلى الآخرة .. ورحمة الله وسعت كل شيء ..

٥ - أن من الواجب عدم الاتكال على حسن الظن بالله ، والعمل بالطاعة قدر

الاستطاعة : فالإمام الحسن البصرى (رحمه الله) يقول : (لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنَّى

وَلَا بِالتَّحَلَّى ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ ، وَإِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُمْ أَمَانِيُّ

الْمَغْفَرَةِ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ ، يَقُولُونَ : نُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ،

وَكَذَبُوا ، فَلَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ) ..

اللهم ارزقنا حسن الظن بك ..

والعمل على مرضاتك ..



مَنْ خَافَ سَلِمَ

٣٣ (مَا غَضِبْتُ عَلَى أَحَدٍ غَضِبِي عَلَى عَبْدٍ أَتَى مَعْصِيَةَ
فَتَعَاظَمَهَا فِي جَنْبِ عَفْوِي .. فَلَوْ كُنْتُ مُعْجَلًا الْعُقُوبَةَ أَوْ كَانَتْ الْعَجَلَةُ
مِنْ شَأْنِي لَعَجَلْتُهَا لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي .. وَلَوْ لَمْ أَرْحَمْ عِبَادِي إِلَّا مِنْ
خَوْفِهِمْ مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيَّ ، لَشَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُمْ ، وَجَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ
مِنْهُ الْأَمْنَ لِمَا خَافُوا) ..

[رَوَاهُ الرَّافِعِيُّ عَنْ نَاجِيَةِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُتَجَعِّعِ عَنْ جَدِّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

وَحَدِيثٌ قَدْسِي آخَرُ :

٣٤ (وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ :
إِذَا أَمِنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ) ..

[رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ الْحَسَنِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مُرْسَلًا]

وَحَدِيثٌ قَدْسِي آخَرُ :

٣٥ (وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ لِعَبْدِي أَمْنَيْنِ وَلَا خَوْفَيْنِ : إِنْ
هُوَ أَمِنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتُهُ يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِي ، وَإِنْ هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا
أَمَّنْتُهُ يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِي) ..

[رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الأحاديث :

العبد - مهما أذنب - إذا استغفر غفر الله له .. وأكبر ذنب أن يرتكب العبد معصية ثم يتعاضم معصيته إلى جنب عفو الله ، بمعنى أن يعتقد أن الله لن يغفر له .. والذنوب مهما كانت عظيمة فرحمة الله أعظم وأوسع وأشمل .. وهو القائل في حديث قدسى : (لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا)^(١) ..

[فَلَوْ كُنْتُ مُعَجَّلًا الْعُقُوبَةَ أَوْ كَانَتْ الْعَجَلَةُ مِنْ شَأْنِي لَعَجَّلْتُهَا لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي] : فالله لا يعجل بالعقوبة ولكنه يمهل العاصي لعله يتوب .. ولو أن الله عَجَّلَ العقوبة لما عَجَّلَهَا لأشد الناس ظلمًا ، أو لأفسق أهل الأرض ، أو للمذنبين ذنبًا كبيرًا ، وإنما يعجلها للقانطين من رحمته .. و« القنوط » : هو اليأس الشديد الذى لا يخالطه أمل .. والحديث يحث المذنبين على المبادرة إلى الله بالتوبة ، والرجاء فى عفوهِ .. والله تبارك وتعالى يقول : (قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(٢) ..

[وَلَوْ لَمْ أَرْحَمْ عِبَادِي إِلَّا مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيَّ ، لَشَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُمْ ، وَجَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْهُ الْأَمْنَ لِمَا خَافُوا] : فالخوف من الحساب يجعل الله يرحم الخائف ، وإذا خاف العبد الحساب والوقوف بين يدي الله رزقه الله الأمن يوم الفرع .. وشكركم الله للعبد هو الإثابة ، فالخوف له جزاء وثواب .. والخلاصة :

^(٢) سورة الزمر آية ٥٣ .

^(١) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة .

مطلوب شيان :

(١) لا يَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كما حكى القرآن عن قول « يعقوب » لبنيه :
(وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) ^(١) وعن قول « إبراهيم » : (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) ^(٢) ..

(٢) الخوف من الله ، والخوف نوعان : خوف عقاب ، وخوف جلال :

خوف العقاب هو خوف العامة من الناس والعصاة من مؤاخذتهم على الذنوب ،
أو من تقصيرهم في الطاعة .. أما **خوف الجلال** فهو خوف الملائكة والرسول
والمقرئين : فالملائكة لا يخافون من قلة الطاعة ، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يُؤْمرون .. ولكن يخافون رهبة لجلال الله سبحانه وتعالى .. ولذا كان الرسول
(ﷺ) أشدَّ الناس خوفاً من الله ، وكان خوفه خوف جلال ..

أما الغافل فلا يخاف ، وكذلك الجبارون والظلمة لا يخافون ، لأنهم لو خافوا
لامتنعوا عن الظلم .. فإن كنت مذنباً فلا بد أن تخاف من عقاب الله ، وهذا الخوف
يؤدي إلى الامتناع عن ارتكاب المعاصي .. وكلما وقع العبد في المعصية فخاف ،
أدى به كثرة خوف العقاب إلى خوف الجلال الذي يجعله على صراط مستقيم ،
فيمتنع عن الكبائر والصغائر إلا اللّـم : (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا) ^(٣) فاجتناب الكبائر يُكفِّرُ الصغائر ،
واجتناب الصغائر يُؤدِّي من خوف العقاب إلى خوف الجلال ..

^(٣) سورة النساء آية ٣١ .

^(٢) سورة الحجر آية ٥٦ .

^(١) سورة يوسف آية ٨٧ .

ولا شك أنه كلما اشتدَّ خوف العبد من الله في الدنيا ابتعد عن كل ما يغضبه ، فنال الأمن يوم القيامة ، وكلما قل خوف العبد من الله في الدنيا زادت جرأته على ارتكاب الفواحش والكبائر ففزع يوم القيامة .. لذلك لا يجتمع لعبد خوفان أو أمان : فمن خاف في الدنيا أمن يوم القيامة ، ومن أمن في الدنيا خاف يوم القيامة ، فعلى الإنسان أن يلجأ إلى الله دائماً بالدعاء رغباً ورهباً .. فعن أنس بن مالك عن النبي (ﷺ) قال : (إِنَّ عَبْدًا فِي جَهَنَّمَ لَيُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ : يَا حَنَّانُ ، يَا مَنَّانُ .. قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اذْهَبْ فَأْتِنِي بِعَبْدِي هَذَا .. فَيَنْطَلِقُ جَبْرِيلُ فَيَجِدُ أَهْلَ النَّارِ مُكَبِّينَ يَكُونُ ، فَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ فَيُخْبِرُهُ .. فَيَقُولُ : أَتَيْتِي بِهِ ، فَإِنَّهُ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا .. فَيَجِيءُ بِهِ ، فَيُوقِفُهُ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .. فَيَقُولُ لَهُ : يَا عَبْدِي ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ ؟ .. فَيَقُولُ : أَيُّ رَبٍّ ، شَرِّ مَكَانٍ ، وَشَرِّ مَقِيلٍ .. فَيَقُولُ : رُدُّوْا عَبْدِي .. فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ تَرُدَّنِي فِيهَا !! .. فَيَقُولُ : دَعُوا عَبْدِي)^(١) ..

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ..
وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ .. وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوَنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ..
وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ..
وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ،
وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا ..

^(١) رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين .

بذل الفضل

٣٦ (أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ كَلِمَاتٍ فَدَخَلَنَ فِي أُذُنِي ، وَوَقَرَنَ فِي قَلْبِي :
أَمَرْتُ أَنْ لَا أَسْتَغْفِرَ لِمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا .. وَمَنْ أُعْطِيَ فَضْلَ مَالِهِ فَهُوَ
خَيْرٌ لَهُ .. وَمَنْ أَمْسَكَ فَهُوَ شَرٌّ لَهُ .. وَلَا يَلُومُ اللَّهُ عَلَى كَفَافٍ) ..
[رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مُرْسَلًا]

« الفضل » : ما زاد على حاجة الإنسان .. و« الكفاف » : ما كفَّ الإنسان
عن الحاجة إلى الغير ، ولا يزيد على حاجته .

حديث قدسي آخر :

٣٧ (يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَأَنْ تُمَسِّكَهُ
شَرٌّ لَكَ ، وَلَا تَلَامُ عَلَى كَفَافٍ .. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ
الْيَدِ السُّفْلَى) ..

[رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

« العُلْيَا » : التي تعطى ، و« السُّفْلَى » : التي تأخذ .. وقيل : « العُلْيَا » :
هي اليد التي يتعفف صاحبها عن السؤال ، و« السُّفْلَى » التي يمدّها صاحبها
للسؤال .. وقيل : « العُلْيَا » للمنفق ، و« السُّفْلَى » للممسك .

حديث قدسي آخر :

٣٨ (يَا ابْنَ آدَمَ ، أَفْرِغْ مِنْ كَنْزِكَ عِنْدِي ، وَلَا حَرَقَ ، وَلَا

غَرَقَ ، وَلَا سَرَقَ .. أُوفِّيكَهُ أَخْرَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ) ..

[رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ الْحَسَنِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مُرْسَلًا]

أى يحفظه الله من الغرق والحرق والسرقة ، ويرده إليك عندما تشتد حاجتك إليه ..

حديث قدسى آخر :

﴿ ٣٩ ﴾ (يَا عِبَادِى أَعْطَيْتُكُمْ فَضْلًا ، وَسَلَّطْتُكُمْ قَرْضًا ، فَمَنْ
أَعْطَانِي شَيْئًا مِمَّا أَعْطَيْتُهُ طَوْعًا ، عَجَّلْتُ لَهُ فِي الْعَاجِلِ ، وَادَّخَرْتُ لَهُ
فِي الْآجِلِ .. وَمَنْ أَخَذْتُ مِنْهُ مَا أَعْطَيْتُهُ كَرْهًا وَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ ،
أَوْجَبْتُ لَهُ صَلَاتِي ، وَرَحِمْتِي ، وَكَتَبْتُهُ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَبَحْتُ لَهُ
النَّظَرَ إِلَى) ..

[رَوَاهُ الرَّافِعِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

« الفضل » : الزيادة ويُطلق على المال والجاه ..

شرح الأحاديث :

يقول الله سبحانه وتعالى : أى إنسان أعطيته فضلا - مهما كانت الأرزاق فى الدنيا - فأنا صاحب المنّ والفضل .. ومن ينسَ نفسه ويقلُ : (علقى وتفكيرى) فهو على ضلال .. ويمثل مَنْ حكى عنه القرآن قوله : (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) ^(١) .. فما أعطانا الله من مال فهو من فضله وليس لاستحقاقنا ، أو بتدبيرنا ..

(١) سورة القصص آية ٧٨ .

[وَسَأَلْتُكُمْ قَرْضًا] « الْقَرْضُ » هو القطع ، ومنه القوارض ، فكأنك بالقرض

تقتطع شيئاً وتُعْطيه غيرك إلى أجل .. فالعبد الذى يعطيه الله سبحانه وتعالى من فضله فيخرج زكاة ماله ، وينفق على المساكين - وَعَدَهُ اللهُ بَادْخَارِهِ لَهُ فِي الْآجِلِ ، أى يوم القيامة فيجد ثوابه وجزاءه .. والحسنة بعشرة أمثالها .. إلى سبعمائة ضعف .. والله يضاعف لمن يشاء .. بالإضافة لما يناله من بركة في ماله وزيادة في الدنيا : (مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ)^(١) ..

وإذا فقد العبد شيئاً من ماله لأسباب خارجة عن إرادته ، أو فقد جاهاً ، أو ولداً ، أو شيئاً مما أعطاه الله فصبر ، واحتسب ، وقال : (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) واستسلم لقضاء الله - نال ما وعده الله به في الحديث ..

[أَوْجِبْتُ لَهُ صَلَاتِي] : الصَّلَات جمع صَلَاة ، وهى الجائزة والعطية .. وعطايا

الله تبارك وتعالى لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى .. [وَرَحْمَتِي] : وعد من الله تبارك وتعالى بالرحمة فى الدنيا والآخرة .. [وَكَتَبْتُهُ مِنَ الْمُهْتَدِينَ] : فلا يضل أبداً ولا يشقى .. ويصف ربنا تبارك وتعالى الصابرين على المصائب بقوله : (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)^(٢) .. ويشيرهم بقوله : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)^(٣) .. يقول « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) فى هذه الآية : (نِعَمَ الْعِدْلَانِ وَنِعَمَ الْعِلَاوَةُ)^(٤) .. و« الْعِدْلَانِ » : الحملان اللذان يوضعان على جانبي البعير ، وكل منهما يساوى الآخر فيعتدل فى سيره ..

(٣) سورة البقرة آية ١٥٧ .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٦ .

(١) رواه الترمذى ، كتاب الزهد .

(٤) رواه البيهقى ، كتاب الجنائز .

و« العِلَاوَة » : هى ما زاد فَوْضِعَ على ظهره .. ف « العِدْلَان » : هما الصلوات والرحمة ، و« العِلَاوَة » هى : المهتدون ..

[وَأَبْحَثُ لَهُ النَّظَرَ إِلَى] : فَعَنْ صُهَيْبٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، نَادَى مُنَادٌ : إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَ كُفْمُوهُ .. قَالُوا : أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا !! وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ !! وَيُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ !! قَالَ : فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ .. قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ) ^(١) .. والنظر إلى وجه الله الكريم هو الزيادة التى جاءت فى قول الله تعالى : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ^(٢) .. ^(٣)

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنَّا ..
وارْزُقْنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ..



^(٣) تفسير ابن كثير .

^(٢) سورة يونس آية ٢٦ .

^(١) رواه مسلم والترمذى وأحمد .

الاعتصام بالله

٤٠ (أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ : وَعِزَّتِي مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ
بِي دُونَ خَلْقِي - أَعْرِفْ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ - فَتَكِيدُهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
بِمَنْ فِيهَا إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ مَخْرَجًا .. وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ
بِمَخْلُوقٍ دُونِي - أَعْرِفْ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ - إِلَّا قَطَّعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، وَأَرَسَخْتُ الْهُوَى مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ .. وَمَا مِنْ عَبْدٍ يُطِيعُنِي إِلَّا وَأَنَا
مُعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي .. وَمُسْتَجِيبٌ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُونِي ، وَغَافِرٌ لَهُ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَغْفِرَنِي) ..

[رَوَاهُ أَبُو تَمَّامٍ ، وَالدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

يهدف الحديث إلى الدعوة للاعتصام بالله والاعتماد عليه .. ويبين أن الله حين
أوحى إلى داود أقسم بعزته .. و« الْعِزَّةُ » في اللغة تعني : المنعة والقوة والغلبة ..
و« العزيز » : هو الممتنع القوى الذي لا يُغلب ولا مثيل له ..

[مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ بِي دُونَ خَلْقِي] « الاعتصام » : هو التمسك بالشئ
والاحتماء به والالتجاء إليه .. أى يحتمى بالله ويركن إليه ، ولا يستند إلا إلى الله ، ولا
يلجأ إلى أى قوة سوى قوة الله ..

[أَعْرِفْ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ] : إذ لا بد من النية في الالتجاء إلى الله ، والرُّكون إليه ..

والنية سرٌّ بين العبد وربّه .. لا يعلمها مَلَكٌ فيكتبها ، ولا شيطانٌ فيفسدها ..

[فَتَكِيدُهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بِمَنْ فِيهَا] « الكَيْدُ » : هو ضرب من الاحتيال ،

قد يكون في الخير وقد يكون في الشرّ : (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) ^(١) فالكيد هنا كيد

الله في الخير ، وكلمة « كيد » تستخدم في الشر أكثر .. فما من عبد يعتصم بالله دون

خلقه ، فتكيده السموات والأرض بمن فيهنّ من خلائق لتؤذيه أو تأتيه بضرٍّ [إِلَّا

جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ مَخْرَجًا] مصداقاً لقوله تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجًا) ^(٢) أى : منفذاً ينفذ منه فلا يزيده كيد الكائدين ، وحقد الحاقدين إلا قوة

ومنة ..

[وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ بِمَخْلُوقٍ دُونِي إِلَّا قَطَّعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ ،

وَأَرْسَخْتُ الْهُوْيَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ] « الْهُوْيُ » : جمع هُوَّة وهى الحفرة البعيدة

القعر .. وأما العبد الذى يعتصم بالمخلوق فليس له دعاء ، ولا يستجاب له ، ولا

يحميه ((الله)) فلا يتمكن من الثبات ، أو الدفاع عن نفسه ، ولا يتمالك قواه ،

وتتكاتف عليه الأعداء فتهلكه ..

[وَمَا مِنْ عَبْدٍ يُطِيعُنِي إِلَّا وَأَنَا مُعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي .. وَمُسْتَجِيبٌ لَهُ قَبْلَ أَنْ

يَدْعُونِي ، وَغَافِرٌ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَغْفِرَنِي] : فالعبد الطائع يجيبه الله قبل الدعاء ، ويعطيه

قبل السؤال ، ويهب له الخيرات ويلهمه الطلب والدعاء ، فيدعو بما هو مستجاب ،

ويكتب له المغفرة ، فيلهمه الاستغفار من كل ذنب ، فلا يغفل عن خطيئة صغرت أم

^(١) سورة يوسف آية ٧٦ .

^(٢) سورة الطلاق آية ٢ .

كبرت .. وما دام قد ألهمه الله الدعاء فلا بد أنه مجيبه ، وما دام قد ألهمه الطاعة فلا بد أنها مقبولة .. وفي حديث قدسى : (مَنْ لَا يَدْعُونِي أَغْضَبُ عَلَيْهِ)^(١) .. فالذى لا يدعو الله مغضوب عليه ، والذى يدعو مخلصاً مرضى عنه ..

ويقول ابن عباس (رضى الله عنهما) : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمًا فَقَالَ : (يَا غُلَامُ ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ .. إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ .. وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ .. وَاعْلَمْ : أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ .. وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ .. رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)^(٢) .. ويقول الله تبارك وتعالى : (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)^(٣) ..

وما دُمت قد آمنت بذلك فلا بد أن تعتصم بالله لأن : (مَنْ اعْتَزَّ بِغَيْرِ اللَّهِ ذَلٌّ)^(٤) .. فإذا كنت تؤمن بالله وبأنه الملك القوى القاهر ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، ولا يقع في ملكه إلا ما يشاء ، وهو الفعال لما يُريد ، فلا تخف إلا ((الله)) ، ولا تخش في الحق لومة لائم .. ويقول رسول الله (ﷺ) : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ .. لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)^(٥) ..

نَسْأَلُ اللَّهَ - تبارك وتعالى - أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ ..

وَأَنْ يُرِينَاهُ الْحَقَّ حَقًّا ، وَيُرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ .. وَأَنْ يُرِينَاهُ الْبَاطِلَ بَاطِلًا ، وَيُرْزُقَنَا اجْتِنَابَهُ ..

(١) رواه العسكري في المواعظ . (٢) رواه الترمذى ، كتاب صفة القيامة . (٣) سورة فاطر آية ٢ .

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية . (٥) رواه ابن ماجه .

يَالَهَا مِنْ حَسَنَةٍ

٤١ (أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ : يَا دَاوُدُ ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِي بِالْحَسَنَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَحْكُمُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ .. قَالَ دَاوُدُ : يَا رَبِّ ، وَمَنْ هَذَا الْعَبْدُ ؟ ! .. قَالَ : مُؤْمِنٌ يَسْعَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِي حَاجَتِهِ يُحِبُّ قَضَاءَهَا ، قُضِيََتْ عَلَى يَدَيْهِ أَوْ لَمْ تُقْضَ) ..
[رَوَاهُ الْخَطِيبُ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيٍّ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

[إِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِي بِالْحَسَنَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَحْكُمُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ] : يَأْتِي الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ .. وَيَالَهَا مِنْ حَسَنَةٍ !! .. وَ« التَّحْكِيمُ » : التَّفْوِيزُ فِي الْحُكْمِ .. فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفُوزُهُ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ فِي الْجَنَّةِ يَحْكُمُ فِيهَا بِمَا يَشَاءُ لِنَفْسِهِ ، وَيَقُولُ لَهُ : (ضَعْ نَفْسَكَ حَيْثُ تُرِيدُ ، وَسَلْ لِنَفْسِكَ مَا تُرِيدُ) ..
[قَالَ دَاوُدُ : يَا رَبِّ ، وَمَنْ هَذَا الْعَبْدُ ؟ !] : تَعَجَّبَ « دَاوُدُ » مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .. فَكَيْفَ يَأْتِي عَبْدٌ بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَفُوزُ أَمْرُ ثَوَابِهَا إِلَيْهِ ، فَيَحْكُمُ لِنَفْسِهِ بِمَا يَشَاءُ ؟ ! ..
[قَالَ : مُؤْمِنٌ يَسْعَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِي حَاجَتِهِ يُحِبُّ قَضَاءَهَا ، قُضِيََتْ عَلَى يَدَيْهِ أَوْ لَمْ تُقْضَ] : أَخْبَرَ اللَّهُ دَاوُدَ عَنْ هَذَا الْعَبْدِ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، يَسْعَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بِإِخْلَاصٍ ، وَيَبْذُلُ فِي ذَلِكَ جُودَهُ وَهُوَ سَعِيدٌ بِذَلِكَ يُحِبُّ قَضَاءَهَا لَهُ .. وَسَوَاءٌ أَقْضِيَتْ هَذِهِ الْحَاجَةُ عَلَى يَدَيْهِ أَمْ لَمْ تُقْضَ فَأَجْرُهُ مُحْفُوظٌ

لأن قضاءها مُعَلَّقٌ بمشيئة الله .. والأعمال بالنية .. ونبينا (ﷺ) يقول : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلَمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(١) ..

والمعروف ينفع صاحبه حياً وميتاً .. وقد حدث في إحدى الغزوات أن كانت إحدى السيدات الأسارى تريد مقابلة النبي (ﷺ) ، فأذن لها فجاءته وقالت : أنا بنت « حاتم الطائي » فقال (ﷺ) : (خَلُّوا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)^(٢) ، فَأُطْلِقَ سَرَاحَهَا ، على رغم أن أباه قد مات في الجاهلية ..

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لخدمَةِ عِبَادِكَ وَقَضَاءِ مَصَالِحِهِمْ ..
وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ..



^(٢) رواه ابن عساکر عن علي (رضي الله عنه) .

^(١) رواه البخاري ، كتاب المظالم والغصب .

أحباب الله

٤٢ (يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَذْنُوا مِنِّي أَحِبَّائِي .. فتقول الملائكة :
وَمَنْ أَحِبَّاؤُكَ ؟! .. فيقول : فقراء المُسْلِمِينَ .. فَيَذَنُونَ مِنْهُ .. فيقول :
أما إِنِّي لَمْ أَزُودِ الدُّنْيَا عَنْكُمْ لِهَوَانِ كَانِ بِكُمْ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ بِذَلِكَ أَنْ
أُضَعِّفَ لَكُمْ كِرَامَتِي الْيَوْمَ فَتَمَنَّوْا عَلَيَّ مَا شِئْتُمْ الْيَوْمَ .. فَيُؤَمَّرُ بِهِمْ إِلَى
الْجَنَّةِ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا) ..
[رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه)]

وهناك حديث قدسي آخر :

٤٣ (قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ إِنَّكَ تُغْلِقُ عَلَى عَبْدِكَ الْمُؤْمِنِ الدُّنْيَا ! ..
فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : هَذَا مَا أَعَدَدْتُ لَهُ .. قَالَ :
وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ وَارْتِفَاعِ مَكَانِكَ ، لَوْ كَانَ أَقْطَعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ
يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْذُ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ كَانَ هَذَا مَصِيرَهُ لَكَانَ
لَمْ يَرِ بِأَسَاقُطٌ .. قَالَ : يَا رَبِّ ، إِنَّكَ تُعْطِي الْكَافِرَ فِي الدُّنْيَا ! .. فَفَتَحَ لَهُ
بَابًا مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فَقَالَ : هَذَا مَا أَعَدَدْتُ لَهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ،
وَعِزَّتِكَ لَوْ أَعْطَيْتَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَمْ يَزَلْ فِي ذَلِكَ مِنْذُ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ ثُمَّ كَانَ هَذَا مَصِيرُهُ كَأَن لَّمْ يَرَ خَيْرًا قَطُّ) ..
[رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)]

شرح الأحاديث :

فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .. وفى النار ألوان من العذاب والشقاء لا يقدر عليها بشر .. والحياة الأخروية خلود ولا موت فيها ، وهى دار جزاء وليست دار عمل .. أما الحياة الدنيا فهى قصيرة تنتهى بانتهاء عمر الإنسان وبقيام الساعة ، وهى دار عمل وليست دار جزاء .. من هنا كان عطاء الدنيا اختباراً وابتلاءً ، وكذلك الحرمان فيها ، لأن الجزاء لا يكون إلا فى الآخرة .. وكلما حُرِمَ المؤمن من عطاء الدنيا ، زاد أجره وثوابه فى الآخرة ، وكان بعيداً عن الابتلاء والاختبار الذى ربما لا يقدر عليه ، فالمال فتنة وكذلك الجاه والسلطان .. أما الكافر فقد تكون له أعمال طيبة فى الدنيا لا يثاب عليها فى الآخرة لِكُفْرِهِ ، فيعطيه الله أجره فى الدنيا من متاعها وليس له فى الآخرة من نصيب ، ولذلك نرى قول الله سبحانه وتعالى : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبَتْكُمْ طَبَّاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا)^(١) ..

ولما تعجب « موسى » : من أن يُعْلَقَ الله الدنيا على العبد المؤمن ، أراه الله ما يدّخر له فى الجنة بأن فتح له باباً واحداً من أبواب الجنة التى لها ثمانية أبواب ، فأقسم « موسى » : أن المؤمن الذى حُرِمَ متاع الدنيا لو كانت يده مقطوعتين وكذلك

^(١) سورة الأحقاف آية ٢٠ .

رِجْلَاهُ ، ولم يبق له إلا الرأس والبطن ، وكان يُسحب على وجهه منذ خلقه الله إلى يوم القيامة ثم فاز بما رأى « موسى » بعضه لكان كأنه لم يَر في عمره ضيقاً ، أو لم يذق طعم الحرمان قط ، ولنسى كل مرارة الدنيا ..

وكذلك النار لو أخذ الكافر الدنيا وما فيها كلها ، والأرض وما عليها منذ خُلِق إلى يوم القيامة ، ثم كان مصيره النار .. لنسى نعيم الدنيا وكأنه لم ير خيراً قط ..
والعبد بمجرد نزوله القبر يرى بعضاً من ذلك ، فإن كان من الصالحين فُتِحَ له طاق ينظر منه إلى النار ، ويُقال له : هذا مقعدك من النار أنجأك الله منه .. ثم يفتح له طاق ينظر منه إلى الجنة ويُقال له : هذا مقعدك من الجنة انظر إليه حتى تُبعث إليه .. فيقضى حياته في القبر ينظر إلى مكانه في الجنة .. وإن كان من المجرمين فيحدث له العكس ، إذ يرى مقعده من الجنة ، ويُقال له : هذا مقعدك في الجنة ضيعته بأعمالك السيئة ، ثم يُفتح له طاق فيرى النار ويُقال له : هذا مقعدك من النار انظر إليه حتى تُبعث إليه : (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) ^(١) .

والإحساس بالوقت نسبيُّ :

فهل المُستيقظ يشعر بالوقت كالنائم ؟! لا ..

وهل السَّعيد يشعر بمرور الوقت كالخزين ؟! لا ..

وهل الحرُّ يشعر بمرور الوقت كالسجين ؟! لا ..

فالله سبحانه وتعالى هو خالق المكان ، وخالق الزمان ، وهو خالق الإحساس

(١) سورة غافر آية ٤٦ .

بالمكان وبالزَّمان ، فهو القادر على أن يقصر الزمان أو يطيله على من يشاء ..
وكذلك الحال في القبر : يُطال الزمان على الكافر ليطول عذابه ، ويُقصر على المؤمن
ليقل انتظاره ..

اللهمَّ ما أُعْطِيتَنَا مِنَ الدُّنْيَا فَاجْعَلْهُ طَاعَةً لَكَ ..
وما زَوَيْتَهُ عَنَّا فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لَكَ ..



كلمة التوحيد

٤٤ (قَالَ مُوسَى : يَارَبِّ ، عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ ..
قَالَ : يَا مُوسَى ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .. قَالَ : يَارَبِّ ، كُلُّ عِبَادِكَ
يَقُولُونَ هَذَا .. قَالَ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .. قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ..
يَارَبِّ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخْصُنِي بِهِ .. قَالَ : يَا مُوسَى ، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ
السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي
كِفَّةٍ ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ..

[رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ حَبَّانَ ، وَالْحَاكِمُ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَالْحَكِيمُ عَنْ
أَبِي سَعِيدٍ (رضي الله عنه)]

وفي حديث قدسي آخر :

٤٥ (قَالَ مُوسَى : يَارَبِّ ، وَدِدْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَنْ تُحِبُّ مِنْ
عِبَادِكَ فَأُحِبُّهُ .. قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ عَبْدِي يُكْثِرُ ذِكْرِي فَأَنَا أَذِنْتُ لَهُ فِي
ذَلِكَ ، وَأَنَا أَحِبُّهُ .. وَإِذَا رَأَيْتَ عَبْدِي لَا يَذْكُرُنِي فَأَنَا حَجَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ،
وَأَنَا أَبْغَضْتُهُ) ..

[رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عُمَرَ (رضي الله عنه)]

• وقال رسول الله (ﷺ) : (أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ..

وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ) ^(١) ..

• وقال أيضا : (مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ^(٢) ..

• وقد سأل أبو هريرة (رضي الله عنه) رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) : (مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ

بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ .. فَقَالَ : لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي

عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى

الْحَدِيثِ .. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ نَفْسِهِ -) ^(٣) ..

• ويقول (ﷺ) : (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا

وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ

الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ^(٤) ..

ويقول الله سبحانه وتعالى في حديث قدسي :

﴿ ٤٦ ﴾ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلَامِي ، وَأَنَا هُوَ ، فَمَنْ قَالَهَا دَخَلَ حِصْنِي ،

وَأَمِنَ عِقَابِي) ..

[رواه ابن النجَّار عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه)]

^(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . ^(٢) رَوَاهُ الْبَزَّازُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَل .

^(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . ^(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ .

ويقول في حديث آخر :

٤٧ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي ، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي) ..

[رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ ، وَابْنُ النَجَّارِ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع)]

شرح الأحاديث :

في يوم من الأيام سمع أهل « نيسابور » بقدوم رجل من آل بيت النبوة وهو : « عَلِيُّ الرُّضَا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب » .. فاجتمع أهل العلم واجتمع فضلاء الناس لاستقباله ، فمر عليهم على بغلته الشهباء في قُبَّةٍ قد أرخيت ستائرُها ، فاستوقفوه وقالوا له : يا ابن الأكرمين ، نستحلفك بالله أن تكشف الستّر حتى نتطلع إلى وجهك وأن تحدثنا حديثاً عن آبائك .. فكشف « عَلِيُّ الرُّضَا » الستّر ، فتطلعوا إلى وجهه المنير ، وقال : حدثني أبي « موسى الكاظم » عن أبيه « جعفر الصادق » عن أبيه « محمد الباقر » عن أبيه « عليّ زين العابدين » عن أبيه « الحسين بن عليّ » عن أبيه « عليّ بن أبي طالب » عن رسول الله (ﷺ) عن جبريل الأمين عن رب العزة أنه قال : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي ، فَمَنْ قَالَهَا دَخَلَ حِصْنِي ، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي) ^(١) .. قال بعض العلماء : إن هذا الحديث لو قرئ بسنّده على مصروع أو مجنون لأفاق !! ..

لفظ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لفظ التوحيد ، من أجله قامت السموات والأرض ، من قاله مخلصاً من قلبه دخل الجنة ، وعندما سمع « مُعَاذُ بن جبل » (ع) قول

^(١) رواه أبو نعيم ، وابن عساكر ، وابن النجار .

رسول الله (ﷺ) : لا يَشْهَدُ عَبْدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ .. قال : أَفَلَا أُحَدِّثُ النَّاسَ ؟! قَالَ : لَا ، إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلُوا عَلَيْهِ ^(١) .. فكنتم « معاذ » الحديث حتى كان على فراش موته فأخبر بالحديث قبل أن يموت خشية كتمان العلم ..

ويشترط فيمن يقول : (لا إله إلا الله) أن يُقَرَّ بها باللسان ، ويعتقدها بالجنان .. أما النطق باللسان دون عقيدة في القلب فلا ينفع .. ولا بد أن تنعكس العقيدة على الجوارح والسلوك والأخلاق ، فإذا انعكست كلمة : (لا إله إلا الله) على سلوك العبد ، فذاك هو المؤمن الحقيقي المخلص من قلبه .. فإذا ابتغيت الرزق من غير الله ، أو اعتصمت بالخلائق دونه ، أو خفت غيره فَسَكَّتْ عن كلمة الحق واعتقدت أن النفع والضرر يأتي من غيره .. فكل ذلك يقدر في صحة العقيدة .. وأحوال من قال : (لا إله إلا الله) مخلصاً من قلبه هي :

١- أن لا يخاف في الله لومة لائم .

٢- أن لا يبتغي الرزق إلا من عند الله .

٣- أن لا يتَّكِل ولا يعتَصِم إلا بالله .

٤- أن لا يُفَوِّض أمره إلا إلى الله .

وكلمة : (لا إله إلا الله) تُشعر العبد بالحرية المطلقة ، والقوة ، والعزة .. ومع استشعار المعنى يترقى الإنسان في معارج التوحيد ، فيشعر بأن الله فَعَّالٌ لِمَا يريد ، ولا

^(١) رواه أحمد ، مسند الأنصار .

يقع في ملكه إلا ما يريد ، فيرضى عن كل ما يأتى به القضاء والقدر ..

وقول الله عز وجل : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِّرَهُ تَكْبِيرًا) ^(١) يُشعرنا بأن معرفة ذلك تستحق الشكر لله ، كما تُشعر العبد بالاطمئنان ، لإرضاء الخلق من الأمور التي لا تُدرك ، وإرضاء الله سهل يسير لأنه إله واحد .. ومن نعمة على العباد أنه رسم لهم الطريق الذي يؤدي إلى رضاه ، ويقول الرسول (ﷺ) : (مَنْ التَّمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ .. وَمَنْ التَّمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَكَالَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ) ^(٢) .. ويقول : (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ) ^(٣) .

وكذلك يتضح من الحديث الثاني : [قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ ، وَدِدْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَنْ تُحِبُّ مِنْ عِبَادِكَ فَأُحِبُّهُ] قال : [إِذَا رَأَيْتَ عَبْدِي يُكْثِرُ ذِكْرِي فَأَنَا أَدْنَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَأَنَا أُحِبُّهُ] .. لأن العبد لا يمكن له أن يذكر الله إلا إذا أذن له في ذلك .. فإذا أُلْهِمْتَ الذكر فهي نعمة من الله عليك ، فاغتنمها لأن الله فتح لك الباب ، ولن يغلقه في وجهك أبداً ..

[وَإِذَا رَأَيْتَ عَبْدِي لَا يَذْكُرُنِي فَأَنَا حَبَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أَبْغَضُهُ] .. إِذَا

فربنا هو الذي يحجب الغافلين عن ذكره ، ويُنعم على الذاكرين بذكره ..

^(١) سورة الإسراء آية ١١١ . ^(٢) رواه الترمذی ، كتاب الزهد . ^(٣) رواه البخاری ، كتاب الأدب .

حقاً صدق رسول الله (ﷺ) حين يقول : (أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ..
وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ) ^(١) ..

وكلمة (الْحَمْدُ لِلَّهِ) أول كلمة تقال حين البعث : (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ
بِحَمْدِهِ) ^(٢) .. وأول كلمة يقولها أهل الجنة عند دخولها : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
هَدَانَا لِهَذَا) ^(٣) .. وآخر دعاء أهل الجنة : (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ) ^(٤) .. وبها بُدئ الخلق : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) ^(٥) .. وبها أُنْهِيَ الحساب : (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ^(٦) .. وهى كلمة تملأ الميزان ، وهى دعاء : (فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ ۖ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ^(٧) .. وهى قيد النعم ومفتاح الزيادة ، فقد ورد
عن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) قوله : (قِيدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ) ^(٨) .. والله تبارك
وتعالى يقول : (وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ^(٩) ..

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَوَاتِ .. وَمِلءَ الْأَرْضِ ..
وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ ..
لَا تُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ..

(١) رواه الترمذى ، كتاب الدعوات . (٢) سورة الإسراء آية ٥٢ . (٣) سورة الأعراف آية ٤٣ .
(٤) سورة يونس آية ١٠ . (٥) سورة الأنعام آية ١ . (٦) سورة الزمر آية ٧٥ .
(٧) سورة غافر آية ٦٥ . (٨) كتاب الشكر لابن أبي الدنيا . (٩) سورة إبراهيم آية ٧ .

إِيَّاكَ وَالصَّالِحِينَ

٤٨ (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ .. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ .. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ .. فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَكِنَّ اسْتِعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ .. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) ..
[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)]

وجاء الحديث بصيغ أخرى :

٤٩ (مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي .. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ .. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ : كُنْتُ عَيْنَهُ الَّتِي يُبْصِرُ بِهَا ، وَأُذُنَهُ الَّتِي يَسْمَعُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَفُؤَادَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ .. إِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ ، وَإِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ .. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ وَفَاتِهِ ، لِأَنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) ..

[رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَكِيمُ وَأَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ
عَائِشَةَ (رضى الله عنها)]

شرح الأحاديث :

من هو الولي ؟ كلمة « تولى فلان فلانًا » أى : تولى أمره ، فولّيك : هو من يتولى أمرك على التوالى وبصفة مستمرة ..

وقد جاءت كلمة الولي في القرآن في مواضع كثيرة : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا)^(١) ..
(إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)^(٢) .. (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ
لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٥٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)^(٣) ..

و« الوليُّ » : هو المؤمن الذي يؤدي الفرائض على الوجه الأكمل ، ثم يؤدي النوافل بعد ذلك .. والنوافل هي الزيادات .. و« النفل » : العطية (نفله : أعطاه) .. والنوافل تجبر نقص الفرائض وتعوض الخطأ فيها ، ولكن أحب شيء إلى الله هو أداء الفرائض ، أما النوافل فإنها تزيد العبد قربًا من الله .. ومن دأوم الطُّرُق يوشك أن يُفتح له .. وأداء النوافل يؤدي إلى حب الله للعبد .. فإذا أحبه الله كان سمعه الذي يسمع به ، فيصبح ممن قال الله فيهم : (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)^(٤) .. (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)^(٥) فيميز بين الحق والباطل ، وكذلك الحال بالنسبة إلى اليد والرجل والبصر واللسان والفؤاد ، فلا يأتي بها إلا ما يرضى

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ . (٢) سورة الأعراف آية ١٩٦ . (٣) سورة يونس الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .

(٤) سورة المؤمنون آية ٣ . (٥) سورة الزمر آية ١٨ .

الله ، ولا يستخدمها إلا في طاعة الله .. والإيذاء للولى : بالقول ، أو بالإشارة ، أو بالغيبة ، أو بأى نوع من أنواع الأذى يعرض المؤذى للمحاربة من الله .. فهل يمكن معرفة الولى ؟! .. قد يظهر الولى ويعرفه الناس ، وقد لا يعرفه أحد .. فمن الأولياء مَنْ لا يعرفون قدر أنفسهم ، ومقامهم محجوب عنهم وعن غيرهم حتى لا يملكهم الغرور أو يفتتن الناس بهم .. والأولياء بصفة مستمرة على وجل ، لا يزكون أنفسهم ، ولا يطمئنون لأعمالهم .. (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) ^(١) ..

وهناك من يُخْبِرُونَ ، ويتم إخبارهم بوسائل متعددة : منها الرؤيا الصادقة لأن الرسول (ﷺ) قال : (لَنْ يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ .. فَقَالُوا : وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! قَالَ : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ) ^(٢) .. ومنها ما جاء في قول الله تبارك وتعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ^(٣) .. ونعتقد - والله أعلم - أن هذا الكلام لا يكون بعد الموت ، لأن الدنيا تكون قد ذهبت بما عليها .. وإنما قد يكون في الدنيا لأنه بشارة .. وقد قال رسول الله (ﷺ) : (إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ

^(٢) رواه مالك في الموطأ ، كتاب الجامع .

^(١) سورة المؤمنون آية ٦٠ .

^(٣) سورة فصلت الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (١) .. وكان بعض الصحابة إذا قرأ القرآن نزلت الملائكة لتسمعه فيراها كالقناديل المعلقة في السماء .. ومثل هؤلاء لا يحدثون الناس بذلك ، بل يكتُمونه لأنه سرٌّ بينهم وبين الله ..

[وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ] « اسْتَعَاذَنِي » معناها : احتَمَى بِي واستجار بِي فلا يُرفض له طلب .. ويُعَاذُ مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ الدُّنْيَا ، وَعَذَابِ الْآخِرَةِ ، وَتَصْبِحُ كَلِمَاتُهُ عَطَاءً ، وَنُظَرَاتُهُ شِفَاءً .. فلو قال لمريض : شفاكَ اللهُ ، فسوف يشفى بإذن الله لأنها دعاء .. ومعنى « التَّرَدُّدُ » الذي جاء في الحديث قال فيه العلماء : التَّرَدُّدُ هنا عندما يقبض روحه يقبضها بالتدريج ، وقال البعض الآخر : إنه يخاطب ما اعتادته عقولنا ، والبعض قال : تَرَدَّدَ بِمَعْنَى : رَدَّدَ فَالتَّفْعُلُ بِمَعْنَى : فَعَّلَ أَيْ إِنْ الْمَلَائِكَةَ تَذْهَبُ لِتَقْبِضَ الرُّوحَ فَتَرْجِعُ ، فَالْمَلَائِكَةُ هِيَ الْمُرْتَدَّةُ فِي قَبْضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ .. وَيَضْرِبُونَ الْمِثْلَ بـ « مُوسَى » عِنْدَمَا ضَرَبَ مَلَكُ الْمَوْتِ وَفَقَّأَ عَيْنَهُ .. وَالبعض يقول : إِنْ التَّرَدُّدُ يَعْنِي لَوْ أَنَّ هَذَا الْوَلِيَّ عَمَرُهُ يَمْتَدُّ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَتَعَرَّضَ لِلْمَرَضِ فِي سِنِ الْخَمْسِينَ أَوْ شَعَرَ أَنَّهُ سَيَمُوتُ فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَمُدَّ فِي عَمَرِهِ وَلَا يَمِيتَهُ .. فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مِنْ أَجْلِ كَرَاهِيَةِ الْوَلِيِّ لِلْمَوْتِ ، وَلِأَنَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ يَحْزَنَهُ - يَتْرَكُهُ لِسِنِ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ بِسَبَبِ دَعَائِهِ ..

ويقول رسول الله (ﷺ) : (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ .. قَالَتْ عَائِشَةُ - أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ - : إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ !! قَالَ : لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانٍ

(١) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء .

اللَّهُ وَكَرَامَتَهُ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبُّ لِقَاءِ اللَّهِ وَأَحَبُّ اللَّهِ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ (١) ..

وقد يمرض الولي قبل الموت ويعانى من سكراته .. وتقول السيدة عائشة (رضى الله عنها) : (مَا أَغْبَطُ أَحَدًا بِهَوْنِ مَوْتٍ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) (٢) .. لأنه (ﷺ) كان يُغشى عليه ويفيق ثم يُغشى عليه ويفيق ويقول : (إِنْ لَلْمَوْتِ سَكْرَاتٌ) (٣) .. وكثير من الصحابة تمنى الجَهْدَ عند الموت وقال : ذاك آخر ما يُكفِّرُ الله به عن عباده ..

ونخرج من الحديث بنقطة هامة وهى : إياك والصالحين من عباد الله .. والمواظبين على الصلاة .. والطائعين لله فقد يكونون من أولياء الله دون أن تدرى فلا تؤذهم : بالإشارة أو بالكلمة أو بالفعل لأنه إذا غضب أحدهم ، غضب الله لغضبه ، وإذا رضى رضى الله لرضائه ..

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ..
وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ .. وَأَحِبِّ لِقَاءَنَا ..
وَحِبِّ إِلَيْنَا لِقَاءَكَ ..



(١) رواه البخارى ، كتاب الرقاق . (٢) رواه الترمذى ، كتاب الجنائز . (٣) رواه البخارى ، كتاب المغازى .

ثبات الأقدام

٥٠ (قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يُخَاطَبُ رَبَّهُ : يَا رَبِّ ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَحَبُّهُ بِحُبِّكَ ؟ .. قَالَ : يَا دَاوُدُ ، أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ : تَقِيُّ الْقَلْبِ ، نَقِيُّ الْكَفَّيْنِ ، لَا يَأْتِي إِلَى أَحَدٍ سُوءًا ، وَلَا يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، تَرْوُلُ الْجِبَالُ وَلَا يَزُولُ .. أَحَبَّنِي ، وَأَحَبُّ مَنْ يُحِبُّنِي ، وَحَبَّبَنِي إِلَيَّ عِبَادِي .. قَالَ : يَا رَبِّ ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ ، وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّكَ ، فَكَيْفَ أُحِبُّكَ إِلَى عِبَادِكَ ؟! .. فَقَالَ : ذَكَّرَهُمْ بِآلَائِي ، وَبَلَائِي ، وَنَقْمَائِي .. يَا دَاوُدُ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُعِينُ مَظْلُومًا ، أَوْ يَمْشِي مَعَهُ فِي مَظْلَمَتِهِ إِلَّا أَثَبْتُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَرْوُلُ الْأَقْدَامُ) ..

[رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)]

شرح الحديث :

يبين الحديث حرص « داود » على حب الله ، على رغم أن « داود » قد أعطاه الله تبارك وتعالى الملك والحكمة وعلمه مما يشاء .. وسخر معه الجبال يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة كلُّ له أَوَّاب ، ومنحه أجمل صوت في الوجود - كما منح « يُوسُفَ » أجمل وجه وأبهى طلعة في الوجود - وأعطاه « الزُّبُورَ » ، و« الزُّبُورَ » ليس فيه أوامر ونواه ، وليس فيه أحكام ، ولكنه حِكْمٌ ومواعظ .. وكان « داود » يتغنى بـ « الزُّبُورَ » ، فإذا قرأه متغنياً به احتشدت الطيور جميعاً حوله ،

وسكن الكون كله ، ورددت الجبال والطير وراءه ما يقول .. وعلى رغم هذا العطاء الرباني لـ « داود » ، إلا أنه كان حريصاً على المزيد من حب الله تبارك وتعالى ، لأن حب الله تبارك وتعالى أغلى ما في الوجود ، وهو أعظم الآمال جميعاً ، فلا يرجو العبد الصالح - مهما قرب من الله - أكثر من حب الله تبارك وتعالى ، لأن الله إذا أحب عبداً أحبه كل شيء في الوجود ..

[أَيْ عِبَادَكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَحِبُّهُ بِحُبِّكَ ؟] : وبهذه المناسبة كان للنبي (ﷺ) مولى يُدعى « ثوبان » ، وكان شديد الحب لرسول الله (ﷺ) قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه ، يُعرف في وجهه الحزن ؛ فقال له (ﷺ) : (يا ثوبان ما غير لونك ؟) فقال : يا رسول الله ما بي ضرر ولا وجع ، غير أنني إذا لم أراك اشتقتُ إليك ، واستوحشتُ وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة وأخاف ألا أراك هناك ؛ لأني عرفت أنك تُرفع مع النبيين ، وأني إن دخلت الجنة كنتُ في منزلة هي أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل فذلك حين لا أراك أبداً .. فنزل قول الله تعالى : (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (١) .. (٢)

ويروى أن رجلاً سأل النبي (ﷺ) عن الساعة فقال : متى الساعة ؟ قال : (وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟) قال : لا شيء إلا أنني أحبُّ الله ورسوله (ﷺ) .. فقال : (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) (٣) ..

من هنا كان حرص « داود » على معرفة أحباب الله حتى يحبهم بحب الله ..

(١) سورة النساء آية ٦٩ . (٢) تفسير القرطبي . (٣) رواه البخاري ، كتاب المناقب .

فقال له الله : [أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ تَقِيُّ الْقَلْبِ ..]

« التقوى » وهى الصفة الأولى : وكلنا يعلم أن رسول الله (ﷺ) أشار إلى قلبه ،

وقال : (التَّقْوَى هَاهُنَا)^(١) .. وفى القرآن : (فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)^(٢) ..

فالقلب محل التقوى وليست الجوارح ، والخشوع أيضا محله القلب .. ويقول

(ﷺ) : (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا

فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)^(٣) .. ولله درّ القائل : (المرءُ

بأصغريه : بقلبه ولسانه) .. وحين رأى سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) رجلاً وهو يعبث

بلحيته أثناء الصلاة ، أشار إليه وقال : (لو خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ) ..

فكانت أول صفة من صفات الأحاب : [تَقِيُّ الْقَلْبِ] : ذلك الذى يخشى الله فى

السِّرِّ كما يَخْشَاهُ فى العلن .. ذلك الذى يذكر الله فى السِّرِّ أكثر مما يذكره فى

العلن .. الذى يُخْفِى شوقه وحبّه إلى الله عن الناس .. الذى يُخْفِى الصدقات

ويُخْفِى الصالحات ، فما أخفى من عمله أكمل وأعظم وأكثر مما أظهر ..

[نَقِيُّ الْكَفَيْنِ] وهى الصفة الثانية : أى لا يمدّ يده إلى الحرام مطلقاً ، فقد ارتزق من

حلال : فمطعمه حلال ، ومشربه حلال ، وملبسه حلال ، وغذّى من الحلال ، فهو

نقى الكفين من أن تمتدّا إلى الحرام .. نقى الكفين مما يحرم على المسلم كدماء المسلمين ،

فلا يمد يده بالبطش إلى مُسْلِم .. فیده بیضاء نقیة من دم المسلمین ومن أموالهم ..

[لَا يَأْتِي إِلَى أَحَدٍ سُوءًا] وهى الصفة الثالثة : وكلمة « أحد » دخل فيها المسلم

والكافر والصالح والفاسق ، والغنى والفقير ، والصغير والكبير .. وكلمة « سوءاً »

(١) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة . (٢) سورة الْحَجَّ آية ٣٢ . (٣) رواه البخارى ، كتاب الإيمان .

دخل فيها كل ما يُسِيء .. فلا يأتي إلى أحد سوءاً باللسان أو اليد ، فلا يَسُبُّ ولا يصخب ولا يلغو ، لأن مثل هذا العبد يعلم أن الله خلق الخلق وهم عباده ، وهو أعلم بهم من أنفسهم ، ويعلم من ختم لهم بالشقاوة ، ويعلم من ختم لهم بالسعادة وهو الذى يحاسبهم ..

وقد علّمنا القرآنُ الأدبَ فيما حكاه عن « عيسى ابن مريم » فى يوم القيامة حيث أتى به ربه وأشهدده على قومه : (ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)^(١) فهو يشهد حينذاك على الذين ألَّهوه ، وأشركوه مع الله ، فكان مصيرهم إلى النار ، ومع هذا نرى قوله : (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)^(٢) إن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وهذا هو أعلى مراتب الأدب فى الكلام ، فحين تأكد له أن هؤلاء أشركوا وكفروا ، وأن الله سبحانه وتعالى قد غضب عليهم ، لم يسبهم ، ولم يشمت فيهم ، ولم يسأل الله لهم العذاب الأليم ، وإنما تطف واستدرّ الرحمة فقال : (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أى إنك حر تملك وتفعل ما تريد .. وهم فى كل الأحوال عبادك .. ويُلحظ أنه قال : (فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ولم يقل : (الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ، حتى لا يعزم على الله بالمغفرة ، فالله تبارك وتعالى عزّ فحكم ، وحكمه العدل ..

(٢) سورة المائدة الآيتان ١١٧ ، ١١٨ .

(١) سورة المائدة ١١٦ .

فإذا رأيت عبداً لله - على صلاح - فأعنه وادْعُ له ، وإن رأيتَه على معصية فاستره ، وانصحه سرّاً ، ولا تفضحه ، ولا تُسئِ إليه ، ولا تشمت فيه ، فقد قال رسول الله (ﷺ) : (لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَعَايَهُ اللَّهُ وَيَتَلَيَّكَ)^(١) ..

[وَلَا يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ] وهي الصفة الرابعة : فالنميمة من الكبائر ، وهي تعادل القتل ، والسرقه ، والرِّبَا ، والزَّنا ، وعقوق الوالدين ، والشرك بالله .. فما هي النميمة ؟! .. « النميمة » هي الإيقاع بين الناس ، كأن تذهب إلى فلان فتحدثه عن مقالة فلان بأسلوب يثير حفيظته ويزرع البغضاء والعداوة في قلبه سواء أكنت صادقاً أم كاذباً ، فالصدق نَمِمة ، والكذب بُهْتَان ..

[تَرْوُلُ الْجِبَالُ وَلَا يَزُولُ] وهي الصفة الخامسة : أى لو تحركت الجبال فإن هذا الشخص لا يتزعزع عن إيمانه واستقامته أبداً ، فهو ثابت على الإيمان والتقوى وعلى اليقين ، ومهما حدث له ومهما تعرض للفتن ، ومهما أُوذِيَ في الله فهو لا يزول ولا يتزعزع يقينه ، ولا يتحول عن إيمانه وثقته بالله أبداً ..

[أَحَبَّنِي ، وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّنِي ، وَحَبَّبَنِي إِلَى عِبَادِي] وهي الصفة السادسة : ومثال ذلك إذا أحببت شخصاً فإنك تُحب كل شيء حوله وتُحب كل شيء يُحبه سواء أكانت أصنافاً من الطعام أم كانت أماكن وأشخاصاً يُحبها ، لأن محبوب المحبوب محبوب .. والإنسان الصادق في حُبِّه لآخر يذكره على لسانه دائماً ، وينتهاز أى فرصة ليتكلم عنه ويحدث الناس عنه .. والله المثل الأعلى .. فالْمُحِبُّ لله تبارك وتعالى يُحِبُّ ما يُحِبُّه الله ويذكره دائماً بالحب ، ويحببه إلى

^(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط .

عباده بذكر سعة رحمته ، وعفوه ، وقبوله للتوبة .. ويقول النبي (ﷺ) لأصحابه :
(بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا)^(١) ..

ويسأل « داود » : [كَيْفَ أَحْبَبَكَ إِلَى عِبَادِكَ ؟!] فيقول الله : [ذَكَّرَهُمْ
بِآلَائِي ، وَبَلَائِي ، وَنَقَمَائِي] و« الآلاء » هي النعم .. فإذا قلت لشخص : إن الله
أكرمك وأعطاك كذا ، وفعل معك كذا ، وأعطاك الصحة والعافية - تذكَّره بنعم
الله عليه - شعر بفضل الله فاستحيا من معصيته .. و« البلاء » : هو الاختبار ،
فتذكره أن الله تبارك وتعالى يختبر عباده : (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)^(٢) .. وابتلاء ربنا وبلاؤه واختباره أمر يجعلك تطمع في حبه حتى
يخفف عنك من الاختبار ، ويلهمك الصبر والرضا .. والله سبحانه يَختبر العبد
بالشر والخير : (وَنَبَلُّوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً)^(٣) فإذا ذكَّرت عبداً بالبلاء فسوف يلجأ
إلى الله سبحانه وتعالى يسأله اللطف فيما جرت به المقادير .. و« النِّقْمَة » : اسم من
الانتقام ، فهي العقوبة ، فإذا ذكَّرت العبد بذلك خاف ، ومن خاف سَلِمَ ..

[يَا دَاوُدُ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُعِينُ مَظْلُومًا ، أَوْ يَمْشِي مَعَهُ فِي مَظْلَمَتِهِ إِلَّا أَثْبَتُ
قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ] : وزوال الأقدام يوم القيامة يحدث على « الصِّراط » : وهو
جسر ممدود على حافتي جهنم ، أدقُّ من الشعْر ، وأحدُّ من السيِّف ، يمر الناس عليه
بحسب درجات أعمالهم : فمنهم من يمر مرَّ البرق ، ومن يمرُّ مرَّ الريح ، ومن يمر مرَّ
الراكب المسرع ، ومن يمشي أو يحبو .. وهكذا .. ويوجد يمين ويسار هذا الصراط

^(١) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير . ^(٢) سورة العنكبوت آية ٢ . ^(٣) سورة الأنبياء آية ٣٥ .

« كلاليب » : وهى خطاطيف تخرج من جهنم تخطف الناس من على الصراط ، وترميهم فى جهنم .. فالذى يَمُرُّ مسرعًا يهرب من هذه الخطاطيف فلا تمسه بسوء ، أما الذى يتعثر فى مشيه فينكفى على وجهه ، وتخطفه الكلاليب أو يسلم منها وقد نالت منه ، فمن ثُبَّتْ قدمه على الصراط نجى ، ومن زالت قدمه هوى فى النار ..

والطريق للثبات على الصراط وضَّحه الله لـ « داود » قائلا : [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُعِينُ مَظْلُومًا ، أَوْ يَمْشِي مَعَهُ فِي مَظْلَمَتِهِ إِلَّا أَثْبَتُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ] فالظلم ظلمات يوم القيامة ، وقد حرم الله الظلم على نفسه ، وجعله بيننا محرماً .. وإعانة المظلوم بنصره ، وإذا لم تستطع أن تدافع عنه أو تأتى له بحقه فلتعتبر أن الظلم الذى يعاينه قد وقع عليك أيضا فتستشعر ذلك ، وتمشى معه فى مظلمته ، وتحاول أن تتشفع له ، وتؤيده بالفعل والقول ، وتستعين بغيرك ممن يستطيع مساعدته ..

ويقول الله تبارك وتعالى فى حديث قدسى : (اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِي)^(١) .. ويقول فى حديث آخر : (وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، وَ لَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَّرَ أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ)^(٢) .. فإعانة المظلوم والمشى معه فى مظلمته تثبت الأقدام يوم تزول الأقدام ..

اللهم اَرْحَمْنَا بِتَرْكِ الْمَعَاصِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنَا ..
وَأَرْحَمْنَا بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِينَا ..
وَارْزُقْنَا حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنَّا ..
وَتُبَّتْ أَقْدَامُنَا عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُولُ فِيهِ الْأَقْدَامُ ..

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الصغير . (٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

وبعد ..

أيها القارئ الكريم ، فهذا قَبَسٌ من نور ..

« الأحاديث القدسية » ..

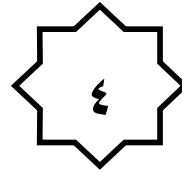
قَدَّمناه لك .. مُبتغين بذلك الأجرَ من ((الله)) وحده ..
راجين من ((الله)) العلى القدير أن ينفعَكَ بضيائها .. وحِكْمَتِها ..
وأن يُنيرَ قلبك بما جاء فيها من معان يعجز عنها الحكماء في كل زمان ومكان ..
وقد حرصنا على أن نتقى هذه المجموعة التي بلغت خمسين حديثاً ..
والتي شملت موضوعات كثيرة دُنْيَوِيَّة وأُخْرَوِيَّة ..
وليست هذه كل « الأحاديث القدسية » فهناك المزيد منها والذي يُضِيء نوراً ،
وحِكْمَةً للسالكين في : [الطريق إلى الله] ..
ونأمل في القريب أن نُضيف منها مجموعات أخرى ..
و((الله)) الموفق والهادي إلى سواء السبيل ..

ونسأل ((الله)) تبارك وتعالى :

أَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا .. وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا .. وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا ..
إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ .. وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ ..
وهُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى .. وَنِعَمَ النَّصِيرِ ..

الكتاب القادم

المَحْظُورَات



- ما يكبُّ الناس على وجوههم فى النار..
- محظورات الكلام ، وأمراض اللسان ..
- هل يمرض القلب ويأثم ؟! ..
- أمراض القلب ، وعلاجه ..
- كيف نلقى الله بقلب سليم ؟! ..
- هل يحاسب العبد على النية ولو لم يعمل ؟! ..

مجموعة كتب الطريق إلى الله

- ١- هو الله
- ٢- الإسلام وأركانه
- ٣- من الأحاديث القدسية
- ٤- المحظورات
- ٥- من أخلاقيات الإسلام
- ٦- من مجامع الكلم
- ٧- التربية في الإسلام
- ٨- في رحاب الأصحاب
- ٩- نساء مؤمنات
- ١٠- التصوف ما له وما عليه
- ١١- من أحكام الإسلام
- ١٢- تأملات في آيات من القرآن الكريم
- ١٣- من علوم القرآن وبلاغته
- ١٤- مناجاة
- ١٥- في رحاب المصطفى المختار ﷺ

يُهدى ولا يُباع
جمعية المواساة الإسلامية
Site: www.mouassa.org
Email: mouassa1@hotmail.com

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

- ١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمس عشرة كتابًا) .
- ٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .
- ٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .
- ٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تهّم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،

